

الدور السياسي والحضاري للرياض في عهد الدولة السعودية الثانية

الدكتور / محمد بن سليمان بن عبدالعزيز الخضير

**قسم التاريخ – كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

عاشت شبه الجزيرة العربية فترة متذبذبة بعد انتقال الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى دمشق ثم إلى بغداد. وباستثناء مكة المكرمة والمدينة المنورة اللتين حافظتا على مكانتهما عبر القرون التالية، بسبب مكانتهما الدينية، فإن البلاد الأخرى في شبه الجزيرة العربية لم تتمتع بمثل تلك الأهمية. ولعل البلاد القابعة في داخل شبه الجزيرة العربية كانت أبعد ما تكون عن التطور السياسي أو الحضاري الذي تمتعت به كثير من البلاد خارج شبه الجزيرة العربية.

وفي منتصف القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، وُلدت دولة حديثة في شبه الجزيرة العربية، هي الدولة السعودية الأولى، كان هدفها نشر الدعوة السلفية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، متخذة من الدرعية عاصمة لها. وسرعان ما ازدادت أهمية الدرعية: دينياً، سياسياً، واقتصادياً، وحضارياً؛ تبعاً لازدياد أهمية الدولة.

لم يقدر الله لهذه الدولة الاستمرار بل تسلطت عليها الدولة العثمانية بسبب توجهها الديني، وما نتج عنه من ازدياد نفوذها السياسي حتى شمل أغلب شبه الجزيرة العربية وأطرافها الشمالية والشرقية؛ فقد خشيت الدولة العثمانية من تأثر ولاياتها في المشرق العربي، فجندت ولايتها في العراق والشام ثم مصر للقضاء على هذه الدولة، وهي المهمة التي نجح

فيها واليها على مصر محمد علي باشا عام ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م، حيث سقطت الدولة السعودية الأولى ودمرت عاصمتها، الدرعية، عن آخرها.

وحيث إن البذرة صالحة والمعدن نفيس فقد قامت الدولة السعودية الثانية لتحقيق نفس الأهداف والغايات التي قامت وكافحت من أجلها الدولة السعودية الأولى حتى سقوطها. ونظراً للدمار الذي أصاب الدرعية فقد رأى الإمام تركي بن عبد الله أبرز زعماء الدولة السعودية الثانية أن الدرعية لم تعد صالحة لبقائها عاصمة للدولة لأسباب نفسية وعمرانية. وفي ظل هذه الظروف كانت الرياض هي البديل الجاهز لتكون عاصمة للدولة السعودية الثانية، لأسباب أخرى ستوضح من خلال هذه الدراسة.

ورغم أن الرياض قامت بدورها كعاصمة للدولة السعودية الثانية، إلا أن الظروف التي أحاطت بهذه الدولة اختلفت عن ظروف الدولة السعودية الأولى، وبالتالي فإن ظروف العاصمة تأثرت نتيجة لذلك في كلتا الدولتين سلباً أو إيجاباً. وبعبارة أدق، تمتعت الدرعية، عاصمة الدولة السعودية الأولى بالاستقرار والتطور مما مكن الدولة من صرف جهودها لمد نفوذها في بلاد نجد أولاً ثم شمالاً ناحية الأحساء ويميناً ناحية الحجاز حتى استطاعت أن تضم أغلب مناطق شبه الجزيرة العربية. أما الرياض، عاصمة الدولة السعودية الثانية فعلى الرغم من ازدياد أهميتها كعاصمة للدولة وتطورها من النواحي العمرانية، إلا أنها تأثرت بالوضع السياسي الذي أحاط بالدولة السعودية الثانية، ولذلك فإن العاصمة لا تكاد تضم جراحها من محاولات غزو خارجي بواسطة قوات والي مصر وجيوشه التي تعود إلى نجد بين فينة وأخرى، حتى تستيقظ على هجوم

خصوم الداخل من أبناء العمومة أولاً، ثم هجوم أصدقاء الأمس من آل الرشيد. وكانت النتيجة أنه، باستثناء عهد الإمام فيصل بن تركي في فترته الثانية، لم تنعم الرياض بالاستقرار طوال عهد الدولة السعودية الثانية، حيث تعاقب على حكمها ثلاثة عشر حاكماً، بعضهم تولى الحكم لفترتين أو ثلاث فترات، مقارنة بفترة مماثلة تقريباً عاشتها الدولة السعودية الأولى، لكن لم يتعاقب على حكمها إلا أربعة حكام فقط. وبالتأكيد فقد كانت ظروف الدولة السعودية الثانية عائقاً أمام طموحات رجالها الأوائل في مد نفوذها إلى المناطق التي وصلتها الدولة السعودية الأولى. وكانت النتيجة أن الرياض تأثرت بهذا الواقع الذي خيم على الدولة السعودية الثانية، حيث راوحت مكانها حتى تم استيلاء محمد بن عبد الله بن رشيد عليها.

هذا الوضع الذي عاشته الرياض خلال عهد الدولة السعودية الثانية سيكون محور هذه الدراسة، لبيان كيف أن الرياض كانت في قلب الأحداث، تأثيراً أو تأثراً، طوال الفترة التي عاشتها هذه الدولة. لقد كانت الرياض تمثل الشرعية والرمز التي حاول زعماء آل سعود الاحتفاظ به والدفاع عنه، بالقدر الذي حاول فيه أعداؤهم الاستحواذ على هذا الرمز من أجل قطع الصلة بين الدولة السعودية وإرثها السياسي ممثلاً بالعاصمة الرياض. وكانت محصلة أحداث هذه الفترة سباق متواصل للاحتفاظ بالرياض، قلب جزيرة العرب ورمز وحدتها. وقد تخلل وبرر هذا التنافس نهضة حضارية شاملة، تمثلت في تنشيط الحركة العلمية، وتطور النواحي العمرانية، وتنمية الحياة الاجتماعية التي عاشتها الرياض، وكل تلك المظاهر كانت ضرورية لتطور مؤسسات الحكم في العاصمة،

(الرياض) مما جعلها تؤدي دورها الرائد في مختلف المجالات الحضارية.

ويلزم التنويه في هذا المقام أن هذه الدراسة ليست دراسة شاملة عن التاريخ السياسي للدولة السعودية الثانية، أو تطورها الحضاري بمعناه العام، وإنما كان الهدف منها تتبع الدور الذي قامت به الرياض كرمز للدولة التي حاول أئمة آل سعود وصلها بالدولة السعودية الأولى لإكمال الهدف الذي سعت لتحقيقه كلتا الدولتين وهو العمل على نشر الدعوة السلفية ومحاولة العودة بالمجتمع الإسلامي إلى صفائه ونقاؤه الديني كما جاء به القرآن الكريم وفسرته السنة النبوية.

ورغم وجود بعض الدراسات التي تناولت الدولة السعودية الثانية بشموليتها مثل: كتاب «الدولة السعودية الثانية» للدكتور عبدالفتاح أبو عليّة، أو بعض الرسائل العلمية التي تناولت دراسة بعض الفترات من زمن هذه الدولة دراسة سياسية عامة، أو تلك الدراسات التي تناولت منطقة الرياض بصفة عامة مثل: البحث الذي كتبه الدكتور محمد علي عسيري، ضمن كتاب منطقة الرياض، لكنه كان دراسة شاملة لمنطقة الرياض، ولم يكن خاصاً بمدينة الرياض، كما أنه مختصر نوعاً ما بحكم أنه يدرس منطقة كاملة بها العديد من المدن والقرى. أما كتاب فيسي، «الرياض القديمة» فيتناول تاريخ منطقة الرياض منذ عصر ما قبل الإسلام حتى وقت متأخر من عهد الملك عبدالعزيز، وهو يعتمد كثيراً على ما ذكره كل من «بلجريف» و «لويس بلي» عن الرياض. وإزاء هذا، فإن ما قمت به يختلف إلى حد ما عن المصادر والمراجع التي ذكرتها، لكون

هذه الدراسة تركز على دور الرياض السياسي والحضاري، وكيف أن الرياض كانت محور الأحداث بالنسبة للنواحي السياسية والعسكرية، ورمز التطور الحضاري بالنسبة للمظاهر الحضارية في البلاد النجدية.

ولقد حرصتُ على بناء هذه الدراسة على معلومات من مؤلفين عاصروا أحداث الدولة السعودية الثانية، سواء ما كتبه المؤرخون المحليون، أو العرب ممن لهم علاقة بهذه البلاد، أو من خلال كتابات الرحالة والمبعوثين الأجانب الذين زاروا الرياض وكتبوا وصفاً مفصلاً عنها من النواحي: السياسية، والعمرانية والاقتصادية. ومع أن بعض المصادر والمراجع، خاصة المصادر الإنجليزية منها، قد ترجم إلى العربية إلا أنني حرصت على الرجوع إليها في لغتها الأصلية ما أمكن، لأن الترجمة قد يصيبها نقص أو أخطاء غير مقصودة، وخاصة الأخطاء المطبعية، وعلى وجه الخصوص الأرقام والتواريخ وهو ما وجدته في كتاب «دليل الخليج» مثلاً، ولأن الرجوع إلى الأصل هو من صميم منهج البحث التاريخي.

وفي الختام، أحسب أنني بذلت كل جهدي لإخراج هذه الدراسة عن مدينة الرياض، عاصمة الدولة السعودية الثانية ثم الدولة السعودية المعاصرة، والتي عاشت مزدهرة حتى ارتقت مدارج الكمال، والكمال لله وحده الذي بنعمته تتم الصالحات.

الرياض بعيد سقوط الدرعية:

من يتصفح التاريخ العريق لمدينة حَجْر^(١)، التي اندثرت تدريجياً وزال اسمها، وانحصر في جزء صغير من مكانها القديم، والتي قامت

الرياض على أنقاضها، يدرك الأهمية التي عاشتها هذه المنطقة، وخاصة القرى والمحلات التي ظهرت فيها، وأهمها: معكال، ومقرن، والعود، والبنية، والصليعاء، وجبرة، والخراب^(٢)، وهو يدل على وجود علاقة بين الارتباط المكاني والسياسي والاقتصادي لهذه المحلات وبين تطورها في عصور مختلفة^(٣). وما يهمنا هنا هو أن ذلك الارتباط أعطى الرياض نفس المكانة والأهمية. والواقع أن الرياض تطورت بعد ذلك حتى ضمت القرى الموجودة في المنطقة. وفي بداية عهد الدولة السعودية الأولى، بني فيها قصر كبير في عام ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م، أصبح فيما بعد قصراً للإمارة حتى نهاية القرن التاسع عشر، بالإضافة إلى بناء عدد من الحصون الدفاعية. وسرعان ما توسعت الرياض وأقيم عليها سور طيني عام ١١٦٤هـ / ١٧٥٠م. وقد بقيت آثار هذا السور حتى وقت قريب^(٤). ومنذ ذلك الوقت استمر تطور الرياض حتى أصبحت عاصمة الدولة السعودية الثانية، ثم علت مكانتها وتطور عمرانها بشكل كبير خلال عهد الملك عبدالعزيز.

والواقع أن مكانة الرياض تطورت خلال عهد الدولة السعودية الأولى، لكنها لم تستطع أن تنافس الدرعية التي كان لها إرث قديم في الزعامة كان آخرها استقلالها السياسي تحت زعامة الأمير محمد بن سعود، ثم أصبحت عاصمة الدولة السعودية الأولى بعد قيامها في عام ١٥٥٧هـ / ١٧٤٤م وإذا كان هناك من سلبات تؤخذ على الرياض فهي وقوفها المعادي لهذه الدولة قرابة تسعة وعشرين عاماً بزعامة أميرها دهام ابن دواس. وبسبب هذا الموقف المعادي، وبسبب كثرة المعارك التي كانت الرياض طرفاً فيها لم تتمتع بالأمن، ولم تتطور اقتصادياً رغم

انضمامها الهش للدولة. ففي آخر عهد الدولة السعودية الأولى، انضم أميرها ناصر ابن حمد بن ناصر العائذي مع رجاله، بالإضافة إلى أهل منفوحة وأهل الخرج، إلى قوات إبراهيم باشا في حملته على بلدة عرقة الموالية للدولة السعودية الأولى.^(٥)

وبعد سقوط الدولة السعودية الأولى عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، وتدمير الدرعية على يد إبراهيم باشا، عاشت بلاد نجد فترة حرجة، حيث اجتاحت البلاد موجة من الفتن والفوضى، وحلت بها الاضطرابات، وانعدم الأمن ورخصت الأرواح.^(٦) ورغم وجود بعض الحاميات التي أبقاها إبراهيم باشا، إلا أن هذه القوات لم تستطع السيطرة على الوضع، بل إن هذه القوات تعرضت للمذابح على أيدي القبائل بسبب ضعف مركز الولاة، على الرغم مما عرف عن بعضهم من القسوة والشدة.^(٧) وقد استمرت هذه الحالة حوالي سنتين قبل أن يتمكن الإمام تركي بن عبد الله من استعادة حكم أسرته، وإقامة الدولة السعودية الثانية منطلقاً من الرياض كما سيأتي تفصيله.

والواقع أنه خلال هذه الفترة الانتقالية، القصيرة من عمر الزمن، تغيرت موازين القوى في التي يهملها أمر قيام الدولة السعودية الثانية، فقد قام محمد بن مشاري بن معمر أميراً على الدرعية في أواخر عام ١٢٣٤هـ/١٨١٩م مستفيداً من ترحيل بعض زعماء آل سعود إلى مصر، وتخفي من بقي منهم.

كان ابن معمر يعتقد أحقيته بحكم الدولة باعتباره سليل أسرة آل معمر التي كانت تحكم العينة قبل قيام الدولة السعودية الأولى، كما أنه

اتخذ من صلة النسب إلى آل سعود، عن طريق خاله الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وسيلة لتأييد مطلبه بالحكم، هذا بالإضافة إلى ثرائه المادي، بما يملكه من أموال وأسلحة ومزارع.^(٨)

ومن ناحية أخرى، أدى تخريب الدرعية على يد قوات إبراهيم باشا إلى ظهور الرياض على مسرح الأحداث من جديد. فعندما قام ابن معمر في الدرعية كان من المعارضين له أمير الرياض ناصر العائذي الذي كان يطمع في الاستفادة من هذا الموقف، حيث أيد الأمير مشاري بن سعود عندما هرب من حرسه خلال نقل أفراد من أسرة آل سعود إلى مصر بعد سقوط الدرعية، وقد تمكن من الوصول إلى الدرعية وتولي الحكم بعد أن تنازل له محمد بن مشاري بن معمر مكرهاً.^(٩) بينما تذكر الوثائق العثمانية أن ابن معمر عندما سمع بهروب مشاري من المعسكر المصري استدعاه إلى الدرعية، وفي الطريق لقي أيضاً ترحيباً من البلدان التي مر بها وأهمها القصيم.^(١٠) وعلى العموم فقد تمكن الأمير مشاري بن سعود من الإمساك بزمام الأمور، خاصة بعد أن لقي تأييداً من عدد من أفراد آل سعود الذين كانوا قد اختبؤوا في بعض البلاد النجدية عندما سقطت الدرعية، كما جاءته وفود من بلاد سدير، والوشم، والعارض، والمحمل وغيرها من بلاد نجد. وتفيد بعض الروايات أن مشاري عين ابن عمه تركي بن عبدالله أميراً على الرياض كما أفادت بعض الروايات أن أميرها السابق ناصر العائذي كان قد بنى أسوارها بعد سقوط الدرعية مباشرة.^(١١) وعلى العموم فإن مشاري، بعد أن تمكن في الحكم، جمع أتباعه واتجه إلى بلاد الخرج ليعيد في إستعادة البلاد النجدية التي كانت تابعة لنفوذ الدولة السعودية الأولى. وكان ممن أيدته في هذه الفترة عمه عمر بن

عبدالعزیز بن محمد بن سعود وأبنائه، كما أیده أيضاً الأمير ترکی بن عبد اللہ بن محمد بن سعود، الذي أصبح فيما بعد أول حاکم للدولة السعودية الثانية متخذاً من الرياض عاصمة له، كما سنرى لاحقاً.^(١٢)

ورغم التأیید الذي لقيه الأمير مشاري بن سعود فإنه لم يتمكن من الاستمرار في حکم الدولة السعودية الثانية لأسباب متعددة، لعل أهمها منازعة ابن معمر له حيث ندم ابن معمر على مبايعته لمشاري بعد أن رأى انتصاراته تتوالى، خصوصاً أنه تنازل عن الحكم لمشاري بن سعود دون رغبة منه، بل لما يتمتع به مشاري بن سعود من أحقية في الحكم. ويمكن أن يستنتج من ذلك أن الرغبة في الحكم كانت ما تزال تسيطر على تفكيره. وبالفعل فإنه سرعان ما غير رأيه فنقض البيعة، وأعد خطة محكمة للاستحواذ على الحكم بالتعاون مع بعض زعماء البلاد النجدية، وبعض رؤساء القبائل. وقد نفذ خطته باستدراج الأمير مشاري بن سعود وسجنه في بلدة سدوس وتولى الحكم في الدرعية.^(١٣) وتشير بعض الآراء إلى أن ابن معمر عقد حلفاً مع أبوش آغا، أحد القواد التابعين لمحمد علي باشا، المتمركز مع قواته في عنيزة، على أن يسلم مشاري بن سعود لهم، فكتب إليه أبوش وأقره على الإمارة.^(١٤)

ومن جهة ثانية استطاع ابن معمر، باستعادته الحكم في الدرعية، أن يمتص غضب محمد علي باشا، الذي كان قد استأذن السلطان العثماني في إرسال حملة للقبض على الأمير مشاري بن سعود عندما كان حاكماً عليها، وأن يؤجل مشروعه الانتقامي. ولكي يتخلص ابن معمر من عقاب والي مصر ويضمن بقاءه حاكماً على هذه البلاد، أخبر محمد

علي باشا بأن ما قام به من عمل هو في صالح محمد علي باشا والدولة العثمانية. وبهذا استفاد ابن معمر من هذه الظروف واستأثر بالحكم لنفسه.^(١٥) وقد تم له ما أراد حيث إن محمد علي باشا قد أرسل بالفعل جيشاً لإعادة احتلال بلاد نجد مرة أخرى، وبعد وصولهم القصيم اقتنعوا بأن الإجراءات التي قام بها ابن معمر تخدم مصالحهم وتحقق هدفهم فثبتوه حاكماً على البلاد النجدية.^(١٦)

وقد بدأ ابن معمر واثقاً من نفسه، حيث أخذ يوسع دائرة حكمه. وكانت الرياض من أولى البلاد التي اهتم بضمها، نظراً لأهميتها في استقرار الحكم له، حيث سار إليها ودخلها، ثم عزل الأمير تركي عن إمارتها، وعين فيها ابنه مشاري بن محمد بن معمر أميراً ليضمن ولاءها لحكمه.^(١٧)

الرياض منطلق الإمام تركي ليبدأ فترة حكمه الأولى:

لم يمض وقت طويل حتى ظهرت الرياض على مسرح الأحداث من جديد، بل أصبحت في قلب الأحداث. لقد أراد الله الخير لأبناء هذه البلاد فقيض لهم رجلاً من آل سعود، ظهر على مسرح الأحداث خلال الفترة الانتقالية التي أعقبت سقوط الدرعية، لم يكن له مطامع سياسية، وإنما كان يهدف إلى الحفاظ على بلاد نجد كما كانت في عهد الدولة السعودية الأولى. إنه هو الأمير تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود الذي كان من المدافعين عن الدرعية حتى آخر لحظة قبل سقوطها، حيث كان يقف خلف أحد المتاريس الحصينة ومعه أخوه زيد، وعلى مقربة منهما يقف ولداه: فيصل، وفهد الذي استشهد في المعركة. وقد ظل

تركي يدافع عن الدرعية مع أفراد أسرته دفاعاً مستميتاً، لكن جهودهم لم توفّق في الإبقاء على عاصمة بلادهم.^(١٨) وبعد ذلك توارى تركي عن الأنظار وسكّن من ترحيله إلى والي مصر، محمد علي باشا، مع أفراد من أسرته آل سعود، وآل الشيخ.^(١٩) كان الأمير تركي أبرز شخصيات آل سعود في ذلك الوقت، وكان يجمع بين الحكمة وسداد الرأي والشجاعة، كما كان له شخصية مؤثرة. وبالإضافة إلى ذلك، كان يتمتع بالإيمان العميق بالله، ثم برسالة الدولة السعودية لتحقيق وحدة الجزيرة العربية على أسس ثابتة.^(٢٠)

وخلال الفترة الانتقالية التي حكم فيها ابن معمر البلاد في الفترة الأولى، ورغم تأييد الأمير تركي له، رغبة منه في استتباب الأمن في بلاد نجد، فضل الأمير تركي الابتعاد عن محيط الحكم واتجه إلى بلدة الحائر القريبة من الرياض انتظاراً لفرصة عودة الحكم السعودي. ولم يطل انتظاره فقد عاد الأمير مشاري بن سعود واستطاع أن يستعيد الحكم السعودي كما ذكرنا سابقاً. وما يهمنا هنا هو تأييد الأمير تركي ودعمه له، دون أن يظهر منه أية بادرة في التطلع إلى الحكم، لأن ما يشغل الناس في هذه الفترة، وعلى رأسهم الأمير تركي، هو تخليص البلاد من الاحتلال، وكان يأمل في استتباب الأمن واستقرار أحوال السكان.^(٢١) ويبدو أن الأمير تركي كان متفائلاً أكثر مما يجب، إذ أن الاستقرار في بلاد نجد كان بعيد المنال، حيث تأزم الموقف بعد أن غير ابن معمر رأيه واحتجز الأمير مشاري ابن سعود وأعلن نفسه أميراً على الدرعية وما حولها من بلاد، ومنها الرياض. وفي هذه الحالة غضب الأمير تركي بن عبد الله، وكان محقاً في غضبه، لأن المغدور به ابن عمه، وسليل

أسرته، والحاكم الشرعي للبلاد، ولأن العملية تمت بطريقة الغدر والخيانة مما لا يمكنه التعايش مع حكم يقوم على الغدر. لم يقف تركي بن عبدالله موقف المتفرج لأن نفسه الأيئة، وتربيته الإسلامية، وسمعة أسرته، أبت عليه السكوت على الظلم والغدر من قبل ابن معمر في حق مشاري بن سعود، ولذلك صمم على الوقوف ضده.

وتصحيحاً للوضع تحرك الأمير تركي بن عبدالله في شهر ربيع الأول عام ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م من بلدة الحابر، ثم انضم إليه في ضمراً أتباعه، والمؤيدون للدولة السعودية. وعندما علم ابن معمر بهذا التحرك أرسل قوة بقيادة ابنه مشاري للقبض على تركي، لكن هذه الخطة فشلت مما زاد من قوة تركي بن عبدالله، حيث لقي تأييداً من بعض البلاد والقبائل. وبذلك تشجع واتجه إلى الدرعية وأمسك بزمام الأمور بعد أن سجن ابن معمر، ثم اتجه إلى الرياض وقبض على أميرها مشاري بن محمد بن معمر وأودعه السجن. ولم ينس الإمام تركي ابن عمه مشاري المودع في سجن سدوس، ولذلك قدّم عرضاً بإطلاق سراح ابن معمر وابنه بشرط إطلاق سراح مشاري بن سعود. وقد استجاب ابن معمر وكتب إلى عشيرته يطلب منهم تسليم مشاري بن سعود، لكنهم لم يوافقوا خوفاً من عقاب قادة محمد علي باشا الذين كان لهم تواجد في بعض بلاد نجد، ومنها الحامية الموجودة في عنيزة، بل عمدوا إلى أسوأ منه عندما سلموا مشاري ابن سعود إلى تلك الحامية. وفي هذه الحالة أصبح الإمام تركي في حلٍّ من وعده بإطلاق سراح ابن معمر وابنه، بل إنه عدهما مسؤولين مع عشيرتهما عن مصير الأمير مشاري، الذي مات في سجنه في عنيزة، وعندها أمر الإمام تركي بقتل ابن معمر وابنه، وذلك في شهر ربيع الآخر عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م.^(٢٢)

وبهذه الأحداث انتهت المرحلة الانتقالية للحكم في بلاد نجد، وبدأت مرحلة جديدة هي قيام الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبد الله الذي يعد المؤسس الأول لهذه الدولة، والتي قامت لتكمل الدور الديني، والسياسي الذي اضطلعت به الدولة السعودية الأولى.^(٢٣) كما برزت الرياض خلال هذه الفترة، حتى قبل أن ينتقل إليها الإمام تركي ويتخذها عاصمة له كما سيأتي تفصيله .

ودون الدخول في تفاصيل الفترة الأولى من حكم الإمام تركي وسعيه لضم بلاد نجد وغيرها إلى حظيرة الدولة، مراعاة لهدف البحث وخطته، سنركز على دور الرياض خلال فترة حكمه الأولى والثانية. وفي الواقع فإن أعظم خطر واجهه الإمام تركي هو وجود الحاميات التابعة لوالي مصر محمد علي باشا في بلاد نجد، وسعيه الدؤوب لدعم هذه الحاميات، وواد أية فكرة أو حركة لقيام أي كيان معادٍ له في بلاد نجد. والواقع أن هروب الأمير مشاري بن سعود ومحاولته استعادة الحكم، وكذلك حركة محمد بن معمر، قد حركت مخاوف محمد علي باشا والي مصر من إعادة كيان الدولة السعودية من جديد. وتؤكد الوثائق العثمانية أن السلطان العثماني كان قلقاً من بوادر قيام الدولة السعودية من جديد، ولذلك عاتب محمد علي باشا على تهاونه في عدم القضاء على كل أثر للدولة السعودية.^(٢٤) ونتيجة لذلك تحرك محمد علي سريعاً وأرسل في عام ١٢٣٦هـ / ١٨٢١م حملة عسكرية قوامها ٣٠٠ فارس و ٨٠٠ من المشاة مع مدفعيتهم، وأسند قيادتها إلى حسين بك.^(٢٥) وقد انضمت إليها قوات أبوش آغا المتمركزة في عنيزة بالقصيم، واتجهت تلك القوات بقيادة أبوش إلى الرياض عن طريق الوشم، وعند وصولها

حاصرت الرياض حصاراً محكماً. ورغم قوة تحصينها، وما بذل فيها من الاستعدادات الدفاعية من قبل الإمام تركي الذي اختارها عامداً لتكون قاعدة حكمه.^(٢٦) وعندما ازداد ضغط القوات المعادية تحصن الإمام تركي في قصر الحكم بالرياض أملاً في تغيير الموقف لصالحه، لكن ضعف إمكانياته العسكرية مقابل قوات أبوش آغا من جهة، وبسبب شدة الحصار، واستسلام بعض الرجال المتمركزين في القصر، وانضمام بعض زعماء البلدان النجدية، مثل: ناصر العائدي أمير الرياض السابق، وحمد ابن مبارك أمير حريملاء، وغيرهم، إلى القوات المعادية للدولة - فضل الإمام تركي مغادرة الرياض ليلاً مع مجموعة من أتباعه واتجه إلى جنوبي نجد. أما من بقي تحت الحصار في الرياض وعددهم سبعون رجلاً فقد طلبوا الأمان من حسين بك على أن يستسلموا، فقبل منهم ذلك، لكنه غدر بهم وقتلهم، كما قتل عدداً آخر من المؤيدين للدولة السعودية في بلدان مختلفة، ونقل بعض أفراد آل سعود إلى مصر ومنهم عمر بن عبدالعزيز وأبناؤه الثلاثة، كما عاقب أهل البلاد النجدية جزاء وقوفهم مع الإمام تركي. ومما قام به في هذا المجال أنه فرض على أهل منفوحة مبالغ باهضة أخذها منهم عنوة، ثم عاقب أهل الرياض وأخذ أموالهم، وبعد ذلك انسحب من نجد بعد أن عين حاميات في أغلب البلدان.^(٢٧)

العودة إلى الرياض هدفاً إستراتيجياً للإمام تركي:

وبهذا التدخل الخارجي انتهت الفترة الأولى من حكم الإمام تركي، وعادت الفوضى من جديد إلى الجزيرة العربية، وأرهق الأهالي من كثرة الضرائب وانعدام الأمن، مما أدى إلى تدهور الأوضاع في الرياض وفي

عموم بلاد نجد سياسياً، واقتصادياً، وأمنياً. وكان من نتيجة ذلك أن محمد علي باشا بعث حملة أخرى بقيادة حسن أبو ظاهر عام ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م، لقمع الاضطرابات هناك. ورغم أنه أظهر التدين والورع من أجل تحقيق غاياته في السيطرة على بلاد نجد، وأظهر رغبته في مساعدة الأهالي والانتقام من البدو وجبي الزكاة، إلا أنه بعد أن تمكن من إخضاع بعض البلاد النجدية، سلك مسلك سلفه في إذلال السكان والبطش بهم، كما أعاد أمير الرياض ناصر بن حمد العائدي، وعين لها حامية بقيادة أبي علي المغربي. وقد أخذ حسن بك يهاجم مناطق مختلفة من بلاد نجد، كما هاجم جبل شمر وأخذ منهم الزكاة عنوة، ولم تسلم منه حتى البوادي. وفي مرحلة ثانية هاجم العسكر المعادي قبيلة السهول، قرب المجمعة، فصمدوا وقاتلوا قتالاً شديداً حتى تمكنوا من قتل موسى كاشف وأكثر جيشه. أما إبراهيم كاشف فقد تحرك بقوة من الحامية المتمركزة في الرياض ومنفوحة وساعده أمير الرياض ناصر العائدي، وأمير منفوحة ابن مزروع وهاجموا بوادي سبيع، وراء الحابر المعروف بحاير سبيع، قرب الرياض، وقد حصل قتال شديد بين الطرفين انهزم فيه إبراهيم كاشف وقتل في المعركة.^(٢٨) وهكذا كانت الرياض، طوال هذه الفترة الانتقالية، مسرحاً لعمليات عسكرية لم تذق خلالها الراحة والاستقرار.

وعلى العموم، فإنه إذا كانت هذه الأعمال العدائية تحمل في طياتها نتائج سلبية، فإنها في نفس الوقت لم تخل من بعض النواحي الإيجابية، حيث زادت هذه الأعمال من حقد الناس على محمد علي باشا وأعوانه في الجزيرة العربية، وأصبحوا يتطلعون إلى عودة الحكم السعودي أكثر

من ذي قبل.^(٢٩) وخلال هذه الفترة لم يكن الإمام تركي غافلاً عما يجري في بلاد نجد، وكان يعتصر قلبه الألم لهذه الأحوال التي صارت عليها البلاد النجدية، لكنه كان يتحين الفرصة للقيام بعمل يعيد لهذه البلاد استقرارها.

وفي عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م أدرك الإمام تركي أن الوقت قد حان لتخليص البلاد النجدية من محتتها، ومن تسلط الأجانب عليها. ففي شهر رمضان من نفس العام استأنف جهوده لاستعادة حكم البلاد النجدية. وقد تزامن هذا مع انتفاضة عارمة من الأهالي والقبائل لمقاومة التواجد الأجنبي، اشترك فيها قبيلة سبيع، وأهالي عنيزة، وغيرهم من أهالي البلاد النجدية حتى أرغموا قوات محمد علي باشا على تقليص وجودها في البلاد النجدية، حيث غادرت الحامية الموجودة في عنيزة، واقتصر تمرکز قوات محمد علي في الرياض ومنفوحة.^(٣٠)

ومع هذه الإيجابيات التي ظهرت، وكانت دافعاً قوياً للإمام تركي للتحرك، إلا أنه كان يدرك أن مهمة استعادة الحكم في الرياض لن تكون سهلة، خصوصاً مع تمرکز حاميات قوية في الرياض ومنفوحة، لكن ثقته بربه واعتماده عليه، ثم سمو أهدافه، ونبيل غاياته التي ترمي إلى تخليص وطنه، كان كافياً لاقتحام الصعاب متخذاً من سيرة أسلافه وقادة الأمة الإسلامية على مرّ التاريخ النبراس والقُدوة، معتمداً بعد الله على شجاعته وهمته، ومساعدة الأهالي له. تحرك الإمام تركي من جنوبي نجد متجهاً نحو قاعدة الحكم في الرياض تصحبه قوة صغيرة. وفي بلدة عرقة وفد إليه كثير من المؤيدين من الوشم وسدير، حيث طلب منهم

مساعدته بالرجال والسلاح.^(٣١) وفي نفس الوقت كاتب أهل البلدان النجدية الأخرى، مثل: الخرج، وسدير، والزلفي، وغيرها من البلاد النجدية حتى تألف قلوبهم ووعدوه بالمساعدة.^(٣٢) وبهذا اكتمل استعداداه العسكري، ثم بدأ يضع الخطط لاستعادة الرياض إذ تعد رمز عودة الحكم السعودي ومركز ثقله، حيث وضع خطة ذات محورين، هما حصار الحاميتين المتمركزتين في منفوحة والرياض، ومحاولة ضم البلاد النجدية التي ما زالت خارج سلطته مثل ضرما، وحريملاء، وبعض بلدان الوشم وسدير. ورغم طول مدة الحصار التي فرضها على الحاميتين في الرياض ومنفوحة التي استمرت أكثر من سنة، إلا أن النتيجة كانت إيجابية بالنسبة للإمام تركي، حيث أجبر الحامية المتمركزة في منفوحة على مغادرة البلدة وضمها إلى حكمه.^(٣٣)

ومرة أخرى تصبح الرياض مركز الاهتمام من قبل كل من الإمام تركي وكذلك والي مصر محمد علي باشا. ففي بداية عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م أصبحت كفة الإمام تركي هي الراجحة فتقدم من منفوحة إلى الرياض، حيث حاصرها لمدة شهر لكنها استعصت عليه خصوصاً بعد أن استنجد أميرها عبدالله بن حمود العائذي ببعض أنصاره من القبائل، وخاصة فيصل الدويش، ففضل الإمام تركي فك الحصار عنها إلى وقت آخر، ورحل إلى بلدة عرقة المجاورة. وبعد فترة عاود حصارها وشدد عليها الحصار حتى مال قائد حاميتها، أبو علي المغربي، إلى الصلح، فأجابه الإمام تركي على شرط أن يغادر نجداً بقواته وأسلحته، وأن يؤمن من تعاون معه من أهل الرياض.^(٣٤)

كلف الإمام تركي أحد أعوانه، وهو الأمير مشاري بن ناصر بن سعود، أن يدخل الرياض ويعلن استعادة الحكم السعودي بزعامة الإمام تركي بن عبد الله الذي توجه مع أعوانه لضم ما تبقى من البلاد النجدية، حيث ضم ثرمداء وأيده أميرها سلطان بن عبد الله العنقري، ثم اتجه إلى حوطة بني تميم، كما أقام في شقراء مدة شهر وفد عليه خلالها أمير عنيزة وبايعه بالإمامة، كما كاتبه بقية زعماء القصيم، ثم وفدوا عليه مبايعين. وفي فترة لاحقة استطاع الإمام تركي أن يضم بلدان الدلم والسلمية واليمامة، وبحلول عام ١٢٤٠هـ / أغسطس ١٨٢٤م دانت له بلاد الخرج بأكملها.^(٣٥)

الرياض عاصمة للدولة السعودية الثانية:

استهل الإمام تركي حكمه للفترة الثانية بنقل العاصمة بشكل رسمي من الدرعية إلى الرياض عام ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م . ولا شك أن هناك أسباباً قوية دفعت الإمام تركي إلى اتخاذ هذا القرار . ويبدو أن إقامته في الدرعية إبان حكم الأمير مشاري بن سعود القصير الأجل، كانت من العوامل التي أملت عليه اتخاذ هذا الإجراء . ولعل العامل النفسي الذي رافق عملية سقوط الدرعية، والمعاناة التي لقيها سكانها كان له أيضاً دور في سبب نقله العاصمة إلى الرياض . ومع أهمية هذه العوامل إلا أن هناك إجماعاً على أن السبب الذي جعل الإمام تركي يقوم بنقل العاصمة إلى الرياض هو الخراب الذي حلّ بالدرعية على يد قوات إبراهيم باشا قبل رحيله عنها بأمر من والده محمد علي باشا والي مصر . ويبدو أن التخريب كان عاماً وشاملاً، بحيث يصعب إعادة بنائها من جديد بالسرعة

المطلوبة في هذا الوقت الحرج، إضافة إلى ما تحتاجه عملية إعادة البناء من تكاليف مالية ليست متوفرة في خزانة الدولة الوليدة. وفي المقابل كانت الرياض قد حافظت على مظهرها العام، ولم تتأثر من العمليات العسكرية المحدودة التي رافقت المحاولات الأولى لقيام الدولة السعودية الثانية في الفترة الانتقالية التي تحدثنا عنها. ولعل وجود الحامية العسكرية التي أرسلها والي مصر وتمركزها في الرياض لمدة ثلاث سنوات حافظ على بقائها في حالة عمرانية سليمة على الأقل.^(٣٦) يضاف إلى ذلك أن الرياض كانت قوية التحصين، يحيط بها سور مكين، بعكس الدرعية التي تم تخريب أغلب أسوارها بسبب الحرب. كما أن الرياض كانت كثيرة المزارع، وخاصة النخيل التي تنتشر في رقعة فسيحة، بعكس الدرعية التي كانت الزراعة فيها محدودة بالشريط المحاذي لوادي حنيفة. هذه الخصائص الأمنية والعمرانية والاقتصادية جعلت الرياض محمية من الأعداء، معتمدة على نفسها اقتصادياً، وهما سببان مهمان لاتخاذها عاصمة.^(٣٧) أما من الناحية الرسمية فإن كون الإمام تركي ينتسب إلى الأسرة السعودية التي كانت تحكم معظم شبه الجزيرة العربية، وكان له مؤيدون في كل البلاد، جعل أمر نقل العاصمة إلى الرياض يتم بهدوء ودون تداعيات أو حساسيات.^(٣٨) ولا شك أن اختيار الرياض عاصمة للدولة يشكل نوعاً من العمل السياسي الذي رأى فيه الإمام تركي نقلة نوعية في سبيل بناء دولة قوية، مبتعداً عن الآثار السلبية لسقوط الدرعية.

وهكذا لم يمر عامان على جلاء القوات الأجنبية من البلاد حتى دخل إقليم نجد بكامله تحت نفوذ الإمام تركي بن عبدالله، وفي عهد

الرياض الجديد كعاصمة للدولة، بل إنه بدأ يعد العدة لمد نفوذه إلى الأجزاء الشرقية من الجزيرة العربية. وبذلك قامت الدولة السعودية الثانية لتكمل الدور الرائد الذي قامت به الدولة السعودية الأولى منطلقاً من مبادئ الدعوة السلفية المتوارثة في نفوس أهل البلاد النجدية .

الرياض تفضج بمقتل الإمام تركي:

عاش الإمام تركي بن عبد الله حياته مكافحاً لاستعادة ملك أسرته، كما قضى فترة حكمه مقتدياً بسيرة أسلافه عبر سنوات حافلة بالمجهودات المدنية والعسكرية، من الجهاد لإعلاء كلمة الله، وتوحيد البلاد، وتأمين أهلها، وتطهيرها من القوات الأجنبية، إلا أنه لم يعيش ليرى نتيجة جهده فقد شهدت الرياض، التي تدين بالفضل بعد الله له في تطويرها وجعلها عاصمة للدولة، شهدت استشهاده في آخر شهر ذي الحجة من عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م، بتدبير من مشاري بن عبد الرحمن. لقد كان مقتل الإمام تركي خسارة عظيمة، وفاجعة كبيرة للبلاد بأسرها. (٣٩) ومهما كانت عوامل مقتل الإمام تركي والأطراف التي اشتركت فيها، فإن هذه الحادثة أنهت حكم الإمام تركي بعد حوالي عشر سنوات من وصوله إلى الحكم للمرة الثانية، وفقدت الرياض بمقتله رجلاً عاش ومات وهو يحاول تثبيت مركز الرياض كعاصمة للدولة، ومد دورها الحضاري إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية.

الأمير فيصل يعود للرياض لمواجهة الموقف:

ومرة أخرى تعود مدينة الرياض إلى واجهة الأحداث التي شهدتها الدولة السعودية الثانية على اثر الرحيل المفاجئ للإمام تركي نتيجة الغدر

الذي أودى بحياته، خصوصاً أن الذي دبر المؤامرة شخص نال تقدير الإمام تركي وعطفه. ورغم أن مشاري بن عبدالرحمن استولى على قصر الحكم في الرياض بعد مقتل الإمام تركي، وأعلن نفسه حاكماً للبلاد، إلا أن بواذر الريبة وعدم الرضى انتشرت بين الناس، فقد رفض آل الشيخ، وبعض زعماء البلاد النجدية البيعة له في بداية الأمر. وكانت النتيجة أن مشاري لم ينعم بالحكم أكثر من أربعين يوماً كان خلالها قلقاً متوتراً، وقد اضطر إلى التقرب من الناس بالأموال، كما وزع الأسلحة على أعوانه تحسباً لأي طارئ، وطلب من البلدان النجدية مبايعته وهم في بلدانهم.

وبالتأكيد فإن هذه الاحترازاات لم تدفع عنه عقاب الله، فقد أخذ بالثأر لمقتل الإمام تركي، ابنه فيصل الذي كان خلال تلك الفترة في شرقي الجزيرة في مهمة عسكرية، وعندما علم بخبر مقتل والده أخبر كبار قادة جيشه وأعوانه ومن كان معه من رؤساء بلاد نجد.^(٤٠) وقد بايعوه بالإمامة ثم استشارهم في أن يعود إلى الرياض لمواجهة مشاري واستعادة الحكم. وقد استقر رأي الجميع على الرجوع إلى الرياض في الحال.^(٤١) وفي التاسع عشر من محرم عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م وصل فيصل بن تركي إلى الرياض. وقد استبشر الناس عندما علموا بقدوم فيصل للأخذ بثأر أبيه فانضموا إليه، وخاصة المدافعين عن السور الذين ساعدوا فيصلا وأتباعه في الدخول إلى الرياض. وخلال بضعة أيام قام بعض المؤيدين للإمام تركي بمساعدة ابنه فيصل، حيث قاموا بإنزال حبال من البرج الجنوبي للقصر وتسلق أربعون من رجال فيصل، وبعد قتال بال سلاح الأبيض تم محاصرة مشاري في قصره حتى انفض عنه

أتباعه، الذين كانوا متعاطفين مع فيصل بن تركي لمكانة والده الإمام تركي في نفوسهم، وما أحدثه الغدر به من أثر عميق في نفوسهم، وقد تم في الحال قتل مشاري بعد أربعين يوماً من استيلائه على الحكم في الرياض.^(٤٢)

الرياض تؤيد فيصلاً إماماً بعد أبيه:

تربى الإمام فيصل في كنف والده الإمام تركي بن عبد الله في الرياض، وتعلم على يديه، فنشأ متديناً ملماً بأحكام الإسلام، وكان يجالس العلماء، وقد حفظ القرآن الكريم منذ صغره. وفي شبابه عايش الظروف الصعبة التي قدرها الله على أسرته خلال أواخر عهد الدولة السعودية الأولى وما تعرضت له من محن، وما ترتب على سقوط الدرعية من مأس خُتِمت بترحيل بعض أفراد أسرته آل سعود وآل الشيخ إلى مصر، وكان هو من بينهم، حيث أقام فيها قرابة عشر سنين.^(٤٣) ورغم قسوة هذه الفترة وتأثيرها النفسي، إلا أنها أفادت الإمام فيصلاً بما أعطته من الدروس، وما منحته من القدرة على التكيف مع الحياة في أحلك الظروف، وكانت خير معين له بعد الله، في مستقبل أيامه. وكان خروجه من سجن مصر، ومقتل أبيه، وتجنيد الجيوش الأجنبية ضده، من أبرز المواقف التي واجهت الإمام فيصل في حياته، لكنه استطاع التغلب عليها، وعلى آثارها بفضل الاعتماد على الله، ثم يبذل الأسباب الحسية التي كانت البلمس الذي ساعد الإمام فيصلاً في التغلب على آثار هذه المحن.^(٤٤)

والواقع أن دور الإمام فيصل في الحكم مرّ بثلاث مراحل : المرحلة الأولى في عهد والده، حيث شارك في الاضطلاع بمسؤوليات حربية وإدارية . والمرحلة الثانية : عندما قتل والده عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م ، حيث تولى الحكم للفترة الأولى التي انتهت باستيلاء القوات التي بعثها والي مصر محمد علي باشا إلى بلاد نجد، حيث دخلت الرياض وأسرت الإمام فيصلاً ورحلته إلى مصر كما سيأتي تفصيله . أما المرحلة الثالثة : وهي المرحلة المهمة من مراحل حكم الإمام فيصل فقد بدأت عندما تمكن من العودة من مصر واستعادة الحكم في الرياض حتى وفاته في شهر رجب عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م . ولا شك أن كل مرحلة لها أهميتها، ولها تأثيرها المباشر في شخصية الإمام فيصل كما سيأتي تفصيله . وفي كل هذه المراحل كانت الرياض محور الأحداث ورمز شرعيتها^(٤٥)

ومن غير شك فإن الرياض كانت خلال هذه المراحل الثلاث، محور نشاط الأمير، ثم فيما بعد الإمام فيصل ، بما منحته من الشرعية في الحكم وما منحها من إبرازها كأكبر وأهم مدينة في وسط شبه الجزيرة العربية، وهو الدور الذي تبوأته منذ اتخاذها عاصمة حتى انتهاء الدولة السعودية الثانية، ثم عادت لسابق عهدها عندما استعادها الملك عبدالعزيز في نهاية العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري/ بداية القرن العشرين الميلادي .

وللسيرة الحسنة التي تمتع بها الإمام فيصل في حياة أبيه، وتكريماً لوالده الإمام الراحل تركي، أقبل أهل الرياض والقرى المجاورة لها

وبايعوا فيصلاً بالإمامة خلفاً لوالده، كما توافدت الوفود من أمراء البلدان ورؤساء القبائل للتهنئة والمبايعة بالإجماع، أو بتعبير مقبل الذكير: "لم يختلف عليه أحد".^(٤٦)

كان من أول وأهم الأعمال التي قام بها الإمام فيصل بعد توليه الحكم هو إقرار القضاة في مراتبهم، وثبت أغلب أمراء البلدان على بلدانهم مما كان له أثر قوي في استقرار الأمور. ومن الناحية الإدارية أكد على السياسة التي قامت عليها الدولة السعودية والمتمثلة في إقامة دولة إسلامية عمادها الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والتي سار على نهجها أسلافه أئمة الدولة السعودية من عهد الإمام محمد بن سعود حتى عهد الإمام تركي بن عبد الله.

لقد أوضح الإمام فيصل جوانب من منهجه في الحكم حيث ركز على ثلاثة أمور تتعلق بشؤون الرعية، وحقوقهم، وواجباتهم. وقد حث الناس على التمسك بتعاليم الدين، وتقوى الله في السر والعلن، والإكثار من فعل الخيرات.

ومن الأمور المهمة في فترة حكم الإمام فيصل الأولى أنه سعى إلى تثبيت حكمه على المناطق التي كانت خاضعة لحكم والده الإمام تركي. وفي هذا المجال دعا إلى اجتماع عام في الرياض حضره القضاة، وأمراء المناطق والبلدان، وبايعوه بالإمامة، ثم بدأ مهمة استعادة البلاد.^(٤٧)

نهاية حكم الإمام فيصل للفترة الأولى:

حقق الإمام فيصل نجاحاً كبيراً في مسعاه لتدعيم كيان الدولة السعودية منذ تسلمه زمام الحكم حيث دانت له بلاد نجد بأكملها مع قبائلها، كما استطاع أن يذلل المشاكل التي كانت قائمة في الأحساء بين ممثلي الدولة وبين جيرانها.^(٤٨) ومع ما بذله الإمام فيصل من جهود متواصلة قبل وبعد توليه الحكم، إلا أنه لم يهنأ بجني ثمار جهوده لإقامة كيان الدولة واستقرار البلاد . ويبدو أن والي مصر، محمد علي باشا، كان يتابع أخبار الدولة السعودية الثانية، وكان يعز عليه أن يرى الاستقرار يخيم عليها، نتيجة للمجهودات التي قام بها الإمام فيصل . ورغم قناعته باستحالة فرض الحكم المباشر على بلاد نجد، لأسباب كثيرة: اقتصادية، وسياسية، وإستراتيجية، إلا أن أطماعه السياسية كانت هي المحرك لعملياته العسكرية. لقد حقق خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها كثيراً من أحلامه التوسعية في إقامة دولة كبيرة على حساب الدولة العثمانية، حيث استولى على بلاد الشام والسودان وأجزاء من بلاد اليونان والأناضول، كما بدأ يتطلع إلى ضم أجزاء من الجزيرة العربية وخاصة بلاد اليمن.^(٤٩)

وكان نجاح الإمام فيصل في إقامة كيان الدولة السعودية الثانية وعاصمتها الرياض، يتعارض مع أطماع محمد علي السياسية، وخاصة امتداد نفوذه إلى شرق الجزيرة. وعلى الرغم من هذه الأطماع، إلا أنه كان يدرك المخاطر التي تنطوي على إرسال حملة عسكرية، وكان يكفيه اعتراف الدولة السعودية بالتبعية له ومساعدته في إخضاع بعض البلاد الخارجية على حكمه، ومن أجل هذا الهدف طلب من الإمام فيصل

بواسطة حكومة الحجاز تزويد الجيش المصري الذي يزمع إرساله إلى الجزيرة العربية بالمؤن والأدلاء. كما طلب من الإمام فيصل دفع مبلغ من المال عن ولاية نجد.^(٥٠) وقد أثار هذا الطلب الشكوك لدى الإمام فيصل في أن هدف محمد علي في النهاية هو ضرب الكيانات المناوئة له، ومنها الدولة السعودية الثانية، لكن الإمام فيصل لم يكن راغباً في الاصطدام بقوات والي مصر. وبدلاً من ذلك اتخذ موقف الملاينة وأظهر حسن النية بأن أرسل أخاه جلوي مع بعض الهدايا إلى ممثل محمد علي باشا في الحجاز، وهو تصرف يدل على حنكة سياسية، خاصة أنه كان يعلم أن مواجهة الحملات العسكرية أمر قد فرض عليه، وكان عليه أن يحفظ استقلال بلاده مع أنه كان يدرك في قرارة نفسه مدى أطماع محمد علي باشا، وأنه لا يمكن أن يؤمن جانبه.^(٥١) وقد صدق توقع الإمام فيصل حيث سارع محمد علي باشا بإرسال حملة عسكرية إلى الرياض بقيادة إسماعيل بك تحت اسم الأمير خالد بن سعود.^(٥٢) وكان هدفه من إشراك الأمير خالد هو ضمان نجاح الحملة لكي لا يكون مصيرها مصير الحملات السابقة، وكان يتوقع أيضاً أن هذا الإجراء سيدفع الأهالي إلى الترحيب بها، وهذا يؤدي إلى عدم إثارة الشكوك حولها، وذلك لوجود أمير سعودي على رأسها. وكان يتوقع أن مجيء الأمير خالد بن سعود مع الحملة سيؤدي إلى اجتذاب مؤيدي الإمام فيصل، لكن محمد علي باشا كان يرى أن الأمير خالد لن يكون أكثر من حاكم اسمي يخدم مصالحه.^(٥٣) ومرة أخرى حاول الإمام فيصل تفادي الاصطدام بقوات والي مصر التي كانت في طريقها من المدينة إلى القصيم بقيادة إسماعيل بك بعد أن أصبحت المواجهة على وشك الوقوع، وذلك بأن أرسل أخاه

جلوي بن تركي مع بعض الهدايا إلى قائد الحملة، لكن هذه الخطوة من جانب الإمام فيصل لم تثن تصميم قائد الحملة على الوصول إلى الرياض وإسقاط حكم الإمام فيصل.

أما الإمام فيصل فقد اتجه على رأس قواته لحماية القصيم في أواخر عام ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٧م، لكنه وصل متأخراً بعد وصول إسماعيل بك. ورغم أنه قام ببعض الإجراءات العسكرية إلا أنها لم تكن فعالة، فعزم على الرجوع إلى الرياض لحمايتها وتحصينها والدفاع عنها باعتبارها عاصمة الدولة ورمز بقائها.^(٥٤) وعندما وصل الإمام فيصل إلى الرياض وجد الإشاعات قد سبقته بأنه انهزم أمام قوات إسماعيل بك، وأن قسماً من الأهالي انطلت عليهم خدعة خالد بن سعود بأنه أحق بالحكم، بالإضافة إلى خوف كثير من الأهالي من بطش إسماعيل بك. وإزاء هذا الواقع تضاءلت الخيارات أمام الإمام فيصل ولم يجد أمامه سوى الابتعاد مؤقتاً عن الرياض، حيث أنها ستكون مسرح الأحداث المتوقعة حتى يستطيع امتصاص الصدمة واستجماع قواته. وبينما اتجه إلى بلاد جنوبي نجد، العمق الإستراتيجي لزعماء الدولة السعودية، استغلت قوات إسماعيل بك هذا الموقف ودخلت الرياض في ١٠ صفر ١٢٥٣هـ/ ١٦ مايو ١٨٣٧م وأحكمت قبضتها على العاصمة ونصبت الأمير خالد بن سعود حاكماً على الرياض تحت مضلة والي مصر محمد علي باشا.^(٥٥) على حين يذكر فيسي: أنه عندما اقترب فيصل من الرياض كان خالد بن سعود قد سبقه إليها وحصل اشتباك بين الطرفين تغلب فيه خالد واستولى أنصاره على الرياض، ويذكر لوريمر: أن أتباع خالد بن سعود احتلوا قلعة الرياض.^(٥٦)

وهنا تساؤل يفرض نفسه وهو لماذا تخلّى سكان الرياض التي احتضنت ورحبت بالإمام فيصل بعد عودته من مصر عام ١٢٤٣هـ، ثم مبايعته بالحكم بالإجماع بعد استشهاد والده؟. ومع أن موقف أهل الرياض السلبي تجاه الإمام فيصل، رغم ما عرف عنه من كرم وعدل واحترام للناس، يدعو للاستغراب، لكن هذا الاستغراب يزول، وموقف أهل الرياض السلبي من الإمام فيصل يمكن تبريره إذا عرف السبب، وهو فظائع جيوش محمد علي التي أرسلها تباعاً إلى بلاد نجد، بدءاً بالقضاء على الدولة السعودية والمذابح التي قاموا بها، ومروراً بالحملات المتكررة التي كان يرسلها عند أي بادرة أمل لعودة الحكم السعودي منطلقاً من الرياض. وقد أدخلت هذه الفضائح في قلوب الأهالي الرعب مما جعلهم يتوارون عن الأنظار بمجرد رؤيتهم لتلك الجنود، ويتخلون عن مساعدة الإمام فيصل، بل إن بعضهم جاهر بالعداء له.^(٥٧) وبهذا يتبين أن موقفهم من الإمام فيصل بن تركي كان خوفاً من جنود محمد علي باشا أكثر من كونه تخلياً عن الإمام، ويدل على ذلك أن هؤلاء السكان أنفسهم ساعدوا الإمام فيصلاً ودعموا موقفه خلال فترة حكمه الثانية كما سيأتي تفصيله.

وهكذا، وأياً كانت الطريقة التي أوصلت خالد بن سعود إلى الحكم، فقد كان قدر مدينة الرياض أن تعيش في دوامة من الاضطرابات؛ حيث كانت فئة من السكان غير راضية عن المصير الذي آل إليه حكم الإمام فيصل باعتباره الحاكم الشرعي. ورغم أن قوات إسماعيل بك استطاعت إحكام سيطرتها على جميع بلاد نجد بما فيها العاصمة الرياض، إلا أن الاضطرابات عمت جميع البلاد. وعلى العموم

فإن حملة إسماعيل بك استطاعت إنهاء حكم الإمام فيصل للفترة الأولى، لكن أمله في الله لم يخب، في أن الحق سيعود إلى أهله مرة أخرى .

الرياض خلال فترة نفوذ محمد علي:

إذا كانت مدينة الرياض عاشت فترة إنتقالية بعد سقوط الدرعية وانتهاء الدولة السعودية الأولى من الوجهة السياسية عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م، فإن هذه المدينة الصابرة التي لم تذق طعم الاستقرار منذ اتخذها الإمام تركي بن عبد الله عاصمة للدولة، سواء في عهده، أم في عهد ابنه فيصل للمرة الأولى حتى أراد الله لها الاستقرار خلال حكم الإمام فيصل للمرة الثانية كما سنرى لاحقاً. ويمكن وصف هذه الفترة، التي أعقبت حكمه للمرة الأولى، من عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٦م حتى عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م، والتي تعاقب على الحكم خلالها كل من الأمير خالد بن سعود، الذي نصب بواسطة قوات إسماعيل بك، وكذلك حكم الأمير عبد الله بن ثنيان، الذي قام على مبدأ منازعة خالد بن سعود باعتباره يحكم باسم محمد علي باشا، يمكن وصفها بفترة الاضطراب قياساً على فترة الاضطراب التي أعقبت سقوط الدرعية، حيث إن البلاد لم تنعم فيها بالحرية أو الاستقرار، وكانت الرياض خلالها مصدر منح الشرعية للحكم، فمن استطاع التحكم بها يكن هو الحاكم للدولة السعودية الثانية .

وفي أول إجراء عسكري قام به الأمير خالد، قام بهجوم على بلاد جنوبي الرياض، لكن الأهالي هناك وقفوا ضده بسبب انتزاعه الحكم من

الإمام الشرعي، وقد أدى موقفهم هذا إلى فشله وتلقيه خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات، ثم عاد مسرعاً لحماية الرياض.^(٥٨) وقد دفعت هذه التطورات الإمام فيصلاً إلى التحرك إلى العاصمة الرياض ومحاصرتها، حيث قابل خالد بن سعود والقوات الخارجية المؤيدة له في بلدة المصانع، كما تمكن الإمام فيصل من استعادة منفوحة، وبسبب هذا الضغط العسكري الذي قاده الإمام فيصل تراجع الأمير خالد وأعوانه إلى داخل أسوار الرياض. ورغم طول مدة الحصار الذي فرضه الإمام فيصل على الرياض، والذي استمر حوالي سبعين يوماً، أحرز خلاله نصراً معنوياً كاد يعيده للحكم، ورغم الشدة التي عاناها أهل الرياض من جراء الحصار حتى أن الأهالي لجؤوا إلى أكل لحوم الحيوانات الموجودة من الإبل والبقر والأغنام، لكنه لم يستطع استعادة الرياض أو حتى دخولها.^(٥٩) وتلتمس أسباب طول الحصار وعدم تمكن الإمام فيصل من دخول الرياض، واستماتة المحاصرين من جيش الأمير خالد بن سعود، يمكن أن يعزى ذلك جزئياً إلى مساعدة حكومة الحجاز للأمير خالد، بالإضافة إلى تأييد بعض الزعماء داخل بلاد نجد له، كما كان الدفاع عن الرياض منظماً تنظيمياً جيداً. وفي النهاية اضطر الإمام فيصل إلى التراجع وفك الحصار عن الرياض دون أن يحقق هدفه في دخولها.^(٦٠) وقد اتجه الإمام فيصل إلى منفوحة وحاول حصار الرياض مرة أخرى لكن بأقل إحكام من سابقه بدليل أن البدو كانوا يجلبون الغنم إلى داخل الرياض رغم الحصار، وأن بعض أهلها كانوا يخرجون لجمع الحطب، وقد استمر هذا الوضع إلى سنة ١٢٥٣هـ / نهاية عام ١٨٣٧م وبداية عام ١٨٣٨م.^(٦١)

وفي مرحلة ثانية من مراحل هذه الفترة أدرك الإمام فيصل أن المجابهة بدأت تأخذ مجرى آخر، فبدلاً من أن يواجه الإمام فيصل قوات محمد علي باشا أصبح الخلاف منحصراً بينه وبين ابن عمه الأمير خالد، ولذلك حاول أن يحتوي هذا الخلاف بإجراء اتصالات مع الأمير خالد ومحاولة عقد صلح بينهما. ومن جهة أخرى، حاول الإمام فيصل الاتصال بوالي بغداد من أجل العمل سوياً ضد والي مصر. ويبدو أن مساعي الإمام فيصل في كلا الاتجاهين بدأت تؤتي ثمارها، حيث تبلورت فكرة عمل مشترك بينه وبين والي بغداد ضد والي مصر، كما قطعت محاولة راب الصديق بينه وبين ابن عمه خطوات مهمة. ^(٦٢) وعند هذا الحد أسقط في يدي محمد علي باشا وأزال القناع الذي كان يخفي فيه مطامعه حيث سارع بالقيام بعمل عسكري يدعم قواته في بلاد نجد بأن أرسل قوة إضافية تحت قيادة أمهر قواده وأشدّهم بطشاً وهو خورشيد باشا عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م. ^(٦٣) وقد حاول خورشيد استمالة الإمام فيصل بأن وعده بأن يكون حاكماً على بلاد جنوبي نجد والأحساء، لكن الإمام فيصل لم يركن إلى وعود خورشيد، خاصة بعد أن بعث أخاه جلوي إلى عنيزة لمقابلة خورشيد والتباحث معه حول تفاصيل العرض، وقد رجع جلوي محذراً أخاه الإمام فيصل من الاعتماد على وعود خورشيد، فراجع الإمام فيصل إلى الدلم واستقر فيها.

وبهذه النتيجة يصف فيسي الوضع: بأن بلاد نجد أصبحت مقسمة بين فيصل بن تركي في جنوبي نجد: وخالد بن سعود في الرياض. ^(٦٤) وقد تأزم موقف الإمام فيصل بعد أن أيد بعض الزعماء المحليين خورشيد خوفاً منه، مما قوى من موقفه وجراه على السير إلى الرياض

وحصارها. وقد تطور الموقف إلى مجابهة بين الإمام فيصل وخورشيد، كانت فيه كفة الأخير هي الراجحة، مما دعا الإمام فيصل إلى طلب مقابلة خورشيد وعقد معه اتفاقاً في أواخر شهر رمضان عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م على أن يسلم الإمام فيصل الرياض ويذهب إلى مصر مع أبنائه، وأن يؤمن أتباعه. وقد أثر الإمام فيصل سلامة مواطنيه على الاستمرار في القتال، ففدى نفسه عن أبناء وطنه وتأمين أرواحهم وأموالهم.^(٦٥) وبذلك رحل الإمام فيصل وابنيه: عبدالله ومحمد، وأخوه جلوي بن تركي، وابن أخيه عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله إلى مصر.^(٦٦) ونتيجة لمعاهدة لندن، غادر خورشيد نجد بكل قواته في شهر ربيع الآخر عام ١٢٥٦هـ/ يونيو ١٨٤٠م بعد أن ترك بعض الحاميات في بعض بلدان نجد، ومنها ثرمدا والرياض، بينما كان الحاكم في الرياض هو الأمير خالد بن سعود من قبل والي مصر.^(٦٧)

وهكذا دخلت بلاد نجد في دوامة من الأفعال وردود الأفعال مما يمكن وصف البلاد خلال هذه الفترة بالفترة الانتقالية، حيث عاشت بلاد نجد فترة عدم استقرار. لقد كانت هذه الفترة حلقة مفقودة في تاريخ الدولة السعودية الثانية، فلم تعد الرياض تمثل عاصمة للدولة ككل، بل أصبحت مقراً لحكم دخيل، محفوف بالمخاطر، إذ أن فترة حكم الأمير خالد بن سعود لا تمثل الحكم السعودي الذي سار عليه أسلافه من آل سعود، ولذلك لم تنعم البلاد بالاستقرار الداخلي ولا الاستقلال الخارجي، ولهذا السبب لم يعترف العلماء، وخاصة من آل الشيخ بحكمه، بل إن كثيراً من أعيانهم غادروا الرياض متجهين إلى بلاد جنوبي نجد.^(٦٨) وتؤكد الوثائق العثمانية والبريطانية أن خالد بن سعود لا يعدو

أن يكون موظفاً لدى محمد علي باشا، براتب شهري، ثم منح وسام القائمقام، ولم يكن حاكماً مستقلاً، بل كان يخضع لإشراف محافظ المدينة المنورة من قبل محمد علي باشا، على حين كان القائد الحقيقي هو خورشيد باشا، بدليل أن حكم خالد بن سعود لم يستمر خلال هذه الفترة سوى سنة واحدة حيث انهار حكمه بمجرد رحيل قوات خورشيد باشا، ولم يستطع أن يُبقي وحدة البلاد النجدية فضلاً عن ضم مناطق جديدة، وكان من مظاهر ذلك أن مناطق: سدير، والقصيم، وجبل شمر، أخذت تدير شؤونها بمعزل عن الحاكم في الرياض.^(٦٩)

وخلال هذه الأحداث تبرز الحقيقة الواضحة التي تؤكد أن الرياض، باعتبارها العاصمة، وبحكم موقعها المتوسط، كانت على الدوام هي الهدف والمرتكز لمن يريد الاحتفاظ بحكم الدولة بشكل مركزي .

الرياض بين خالد بن سعود وعبدالله بن ثنيان:

رغم وصول الأمير خالد بن سعود إلى الحكم في الرياض، إلا أن المرء لا يحتاج إلى مزيد عناء ليدرك مدى هشاشة حكمه، وأنه مجرد تابع لوالي مصر حيث يصرف له مرتب دوري، ذلك أن المستجدات السياسية والعسكرية، الداخلية والخارجية أصبحت تسير في غير صالح الأمير خالد؛ فقد تدهور موقفه بمجرد خروج قوات خورشيد باشا، كما حصلت مشاكل داخلية في بلاد نجد كان لها دور كبير في الأحداث التي قررت مصير الدولة السعودية الثانية كما سنرى . على أن تطور الأحداث الداخلية أمر يمكن للأمير خالد بن سعود احتواءه، لكن الخطر جاء من بروز منافس له من عائلته هو عبدالله بن ثنيان آل سعود، الذي أعلن

نفسه على أنه المنقذ للبلاد السعودية من الفوضى الداخلية، والتدخلات الأجنبية.^(٧٠) وقد حاول خالد بن سعود القبض على عبدالله بن ثنيان لكنه لم يستطع بسبب يقضة الأخير، ثم حاول خالد بن سعود استقطاب ابن ثنيان، حيث دارت بينهما مراسلات لكن عامل عدم الثقة حال دون اتفاقهما.^(٧١)

أدرك عبدالله بن ثنيان أن بلاد جنوبي نجد كانت دائماً موالية للحكومة الشرعية الممثلة بالدولة السعودية ولذلك بدأ نشاطه لتطهير الرياض، وعامة بلاد نجد من رجال الحاميات التابعة لوالي مصر وحليفهم خالد بن سعود منطلقاً من تلك البلاد، حيث استطاع كسب ثقة زعماء البلاد والأهالي هناك، كما أيده كل من الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، والشيخ عبدالملك بن حسين آل الشيخ ووعده بالمساعدة.^(٧٢) ولا شك أن هذا التأييد من مختلف فئات السكان يدل على أن الأمير عبدالله ابن ثنيان كان يتمتع بصفات دينية وعسكرية وسياسية، يفقدها الأمير خالد بن سعود. فابن ثنيان نشأ في ظل الدولة السعودية القائمة على مبادئ الدعوة السلفية فأكسبته خلفية دينية صافية، بينما عاش خالد بن سعود شطراً كبيراً من شبابه في مصر بعيداً عن التطبيق الفعلي لتعاليم الدعوة السلفية التي يعيشها أبناء نجد، بالإضافة إلى وجود المبادئ الصوفية التي قد تؤثر على الشخص دون قصد منه. كما أن ابن ثنيان اتخذ شعاراً وطنياً وهو العمل على إجلاء القوات الأجنبية عن بلاد نجد، بينما نجد الأمير خالد بن سعود جاء تحت مظلة هذه القوات. ومن جهة أخرى كان ابن ثنيان يرى أنه أحق بالحكم لأنه أنقى نسباً حيث إن أباه وأمه عربيان، في حين أن الأمير خالد أمه

حبشية . ولهذه الأسباب كان أهل نجد يميلون إلى ابن ثنيان، ولذلك استطاع أن يستقطب البلدان واحدة تلو الأخرى حتى وصل إلى الرياض واستطاع إرغام الحامية المتمركزة فيها على الجلاء . وقد أرسل أهل الرياض عدداً من الرسل للأمير خالد بن سعود يطلبون منه مقاومة عبدالله بن ثنيان، أو يأذن لهم بالخروج لمقاتلته، لكنه اكتفى بإرسال أحد أتباعه وهو زويد العبد مع ثلاثمائة رجل على الجمال وتقابلوا مع ابن ثنيان، لكنه تغلب عليهم في النهاية واستصفى الحكم في الرياض لنفسه . وبهذا انتهى حكم خالد بن سعود وبدأ حكم عبدالله بن ثنيان وقاعدته الرياض، وذلك عام ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م.^(٧٣)

ورغم هذا النجاح الذي لقيه الأمير عبدالله بن ثنيان، ووصوله إلى سدة الحكم في الرياض، إلا أن الدولة في عهده لم تصل إلى ما وصلت إليه في عهد الإمام تركي، أو ابنه الإمام فيصل . فعلى الرغم من إحكام سيطرته على الرياض وما حولها، وكذلك بلاد جنوبي نجد، إلا أنه لم يتمكن من السيطرة على أكبر منطقتين مهمتين في نجد وهما: القصيم وحائل، وكان يخطط لاحتواء هاتين المنطقتين بعد أن تستقر له الأمور، وينتفي التهديد الخارجي . وبدلاً من ذلك عمل على تحسين علاقاته مع الدولة العثمانية، ومع حكومة الحجاز، كما حاول أن يمد نفوذه شرقاً، حيث تمكن من إخضاع الأحساء في عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م، كما سعى إلى ضم المناطق التي كانت تابعة للدولة السعودية في جهات عمان.^(٧٤) وقبل أن يحقق طموحاته واجه أمراً لم يكن في حسابه، وهو عودة الإمام فيصل بن تركي من احتجازه في مصر لبدأ جهوده لاستعادة حكم آبائه وأجداده وإقامة الدولة السعودية الثانية من جديد.^(٧٥)

وهكذا لم يستطع الأميران: خالد بن سعود وعبدالله بن ثنيان أن يحققا هدفهما في التفرد بالحكم في الرياض، رغم تضاؤل إمكانية التدخل الخارجي في هذا الوقت بالذات. ويبدو أن عامل عدم الثقة بحكمهما، وعدم استطاعتهما جعل الرياض وأهلها محور الحكم الذي من خلاله يستطيعون بناء الدولة وتمكينها، ومن ثم التوجه إلى ضم البلاد الأخرى، كما فعل كل من الإمام تركي وابنه الإمام فيصل، كانت من أهم العوامل التي عجلت بزوال حكمهما لحساب الإمام فيصل بن تركي. ومما زاد من عدم نجاح الأميرين، ما أصاب بلاد نجد عموماً من الجذب الطويل خلال السنوات من عام ١٢٥١ حتى عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٣٦ حتى ١٨٤٣م، بالإضافة إلى تواجد القوات الأجنبية المكثف في البلاد خلال فترة الثلاث سنوات الأولى من الفترة المذكورة آنفاً.^(٧٦)

الرياض خلال فترة حكم الإمام فيصل الثانية:

لقد تطورت الأحداث سريعاً في الدولة السعودية الثانية خلال حكم الأمير عبدالله بن ثنيان الذي استطاع الوصول إلى الحكم في الرياض بعد إقصاء الأمير خالد بن سعود. ومع أن ابن ثنيان حقق بعض النجاح في تنظيم إدارة الأقاليم مما ساعد على استتباب الأمن واستقرار البلاد، إلا أن حكمه لم يكن شاملاً، كما أن استيلاءه على الحكم بالقوة، وانتهاجه سياسة البطش والشدة أوجد له بعض الخصوم، وخاصة من الزعماء الذين كانوا يؤيدون الأمير خالد بن سعود.^(٧٧)

وعلى المستوى الخارجي يقبع محمد علي باشا والي مصر متحسراً على آماله العريضة بحكم البلاد العربية التي تلاشت، ولم يكن في وضع

عسكري أو سياسي يسمح له بتحقيق طموحاته السياسية بعد تكييله بشروط معاهدة لندن عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠هـ. أما علاقته مع ابن ثيان فقد ازدادت سوءاً بعد أن أجبر الأخير بقية الحاميات المتمركزة في نجد على الرحيل، وخاصة المتمركزة قرب الرياض. ومن جهة أخرى بدأت بريطانيا تحس بحاجتها إلى أكبر قدر من الاستقرار في منطقة الخليج، ومن خلال التطورات السياسية في المنطقة وجدت بريطانيا أن قيام الدولة السعودية الثانية لم يشكل في يوم من الأيام تهديداً لمصالحها كما فعل والي مصر، ولذلك بدأت تدرك أن أمن منطقة الخليج والحفاظ على المصالح الحيوية للنفوذ البريطاني هناك يكمن في التعاون مع دول لها ثقل شعبي ومعنوي، وهو ما كانت الدولة السعودية الأولى ثم الثانية تمثله.

كانت هذه المتغيرات كلها تسير في صالح الإمام فيصل الذي خرج من سجنه في مصر عام ١٢٥٩هـ / عام ١٨٤٢م واستطاع التكيف والتعامل مع تلك المتغيرات.^(٧٨) وفي محاولته استعادة الحكم لم يحاول الاتجاه رأساً إلى الرياض، عاصمة الدولة، لعلمه أن الأمير عبدالله بن ثيان سيستमित في الدفاع عنها، بل وضع خطة محكمة للتحرك تعتمد في مرحلتها الأولى على ضمان ولاء أكبر وأهم منطقتين في نجد، وهما: حائل والقصيم. ودون الدخول في تفاصيل هذه المرحلة، يمكن القول إن حائل أول مكان يصل إليه بعد عودته من منفاه، حيث وجد ترحيباً من صديقه أمير جبل شمر عبدالله بن علي بن رشيد، الذي سهل له تحقيق طموحاته. وفي المرحلة الثانية لقي الإمام فيصل تأييداً من بعض زعماء القصيم، ومن بعض القبائل هناك مما مكنه في النهاية من

ضمان ولاء هذه المنطقة بأكملها له. ^(٧٩) أما الأمير عبدالله بن ثنيان فقد أسرع بالرجوع إلى الرياض وحصنها، حتى إنه لشدة حرصه على عدم إتاحة الفرصة للإمام فيصل من دخولها لجأ إلى هدم المنازل التي حول القصر، كما أنه طوق أسوار المدينة وأبراجها بالجنود. ومن جانبه لم يدع الإمام فيصل له فرصة لاستجماع قواه حيث لحق به وحاصره في الرياض. ورغم رجحان كفة الإمام فيصل إلا أنه رغب في حقن الدماء وحل الخلاف بالطرق السلمية. ومن أجل هذا الغرض حاول التفاوض مع ابن ثنيان على الاستسلام على شروط تكفل له الخروج من الرياض بأمواله وأسلحته، والسماح له بالإقامة في أي بلد من بلدان نجد، وأن يعين له راتباً سنوياً له ولأسرته. ومع هذا العرض الذي سيكفل كرامة ابن ثنيان إلا أنه رفض هذا العرض وفضل المقاومة على الاستسلام، إلا أن محاولته فشلت. ^(٨٠)

وعندما فشلت محاولات الإمام فيصل في عقد صلح مع ابن ثنيان تمركز الأول في منفوحة، أقرب مكان إلى الرياض، وبدأ يرسل أهل الرياض المؤيدين له، ثم دخلها في شهر ربيع الآخر عام ١٢٥٩هـ/ مايو ١٨٤٣م من باب دخنة. أما ابن ثنيان فقد تحصن داخل القصر وسد أبوابه بالطين. ^(٨١) وعندما أحس ابن ثنيان بالهزيمة، خاصة عندما أيد معظم أهالي الرياض الإمام فيصلاً، حاول عقد صلح مع فيصل بواسطة عبيد ابن رشيد لكن هذه المحاولة فشلت أيضاً. وبعد حاصر دام حوالي عشرين يوماً قرر ابن ثنيان الهرب لكنه قبض عليه وأودع السجن حيث مات في سجنه بعد شهر. وبذلك انتهت فترة حكمه وبدأت الفترة الثانية لحكم الإمام فيصل بن تركي منذ عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م، والتي استمرت قرابة ثلاثة وعشرين عاماً. ^(٨٢)

وفي الرياض لم يجد الإمام فيصل معارضة لحكمه، إذ سرعان ما أيدته بقية بلاد نجد دون تردد، لما يملكه من صفات قيادية ناجحة، ولما يعرفه عنه أهل نجد من الحكمة والتدين وحسن الخلق، كما استطاع استقطاب أهل الأحساء وتأييدهم له عندما أرسل إليهم عبدالله بن بتال أميراً. هذا التأييد العارم الذي لقيه الإمام فيصل، والتفاف الأهالي حوله يعكس مدى نجاحه في فترة حكمه الأولى. والواقع أن هذا التأييد والترحيب اتخذ جوانب عديدة، منها: الوفود التي جاءت مبايعة ومؤيدة، ومنها الرسائل العديدة والقصائد الشعرية التي تفصح عن حب عميق وتقدير فائق.^(٨٣) ولم تخف هذه الاتصالات ترحيب الأهالي باستعادة الإمام فيصل الحكم الذي أرغم على تركه بفعل الحملات العسكرية التي بعثها والي مصر محمد علي باشا، وما تركته من آثار سلبية سياسية، واقتصادية، واجتماعية. ولا شك أن هذا الترحيب كان عاملاً من عوامل استقرار الأوضاع للإمام فيصل.

الرياض بعد الإمام فيصل:

تعد وفاة الإمام فيصل بن تركي نهاية حقبة مزدهرة مرت بها الدولة السعودية الثانية، كما تعد بداية مرحلة حرجية تميزت بالاضطرابات، والفوضى، والفتن حتى انفلت النظام الذي كانت تتمتع به الدولة، وفقدت الرياض أهميتها وتلاشت مكانتها. وبالإضافة إلى ذلك حل بالبلاد سنوات من المجاعة والقحط مما زاد من معاناة سكان مدينة الرياض خاصة، والبلاد عامة.

كان للإمام فيصل بن تركي أربعة من الأبناء هم: عبدالله، وسعود،

ومحمد، وعبدالرحمن. وبعد وفاته تولى الحكم بعده ابنه الأكبر عبدالله جرياً على ما تعارف عليه أسلافه من آل سعود، حيث كان الابن الأكبر يخلف والده في الحكم مع توفر شروط الأهلية للإمامة. وقد أجمع العلماء وأهل الحل والعقد وبايعوا عبدالله بالإمامة خلفاً لوالده على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما بايعه إخوانه، وأفراد الأسرة السعودية، والعلماء، وعامة الناس. ويبدو أن الإمام عبدالله كان يتوجس خيفة من عدم الاستقرار ولذلك بدأ حكمه ببناء قصر الحكم في الرياض المعروف الآن بحصن المسمك (المصمك) ليكون قلعة تحمي المدينة.^(٨٤) وقد صدق ظن عبدالله حيث لم تستقر له الأمور أكثر من سنة، حيث خرج عليه أخوه سعود مناوراً رغم أنه سبق أن بايعه بالإمامة.^(٨٥)

هذا الموقف بين الأخوين كان له أسباب، وتمخضت عنه نتائج خطيرة لم تقتصر على خلاف طارئ بين الأخوين على الحكم، وإنما كانت من العوامل الرئيسة لسقوط الدولة السعودية الثانية.^(٨٦) ونظراً لطبيعة هذه الدراسة، لن ندخل في تفاصيل أسباب هذه الخلافات، وتطوراتها، ونتائجها، وإنما سنقتصر على الملامح العامة للدولة السعودية الثانية في هذه الفترة، مع التركيز على دور مدينة الرياض باعتبارها عاصمة البلاد.

تطورت معارضة الأمير سعود بن فيصل لأخيه الإمام عبدالله، حيث حاول في البداية تجميع الأنصار ضده لكنه فشل في إقناع زعماء نجد وبلدانها بالانضمام إليه ضد أخيه الإمام الشرعي، وقد كان هذا أمراً متوقعاً، لأن أهل الحل والعقد أجمعوا على أهلية عبدالله للحكم فلم

يروا هناك مبرراً لخروج سعود على أخيه، وكانوا ينطلقون في ذلك من مبدأ شرعي وهو أنه لا يجوز الخروج على الإمام إلا إذا أخل بشروط الإمامة. ومع ذلك كان سعود مصمماً على المضي في الخروج على أخيه الإمام الشرعي، حيث لجأ إلى ابن عائض في أبها، لكن الأخير رفض مبدأ عصيان سعود لأخيه ولم يساعده، ثم اتجه سعود إلى السيد المكرمي، صاحب نجران، يطلب المساعدة حيث لقي تجاوباً.^(٨٧) وبهذا التصعيد من قبل سعود، تطور الخلاف بين الأخوين إلى مجابهة عسكرية، حيث تقدم سعود بجيوشه إلى جنوبي نجد، وهناك لقي تأييداً من أهلها، على حين كلف الإمام عبدالله أخاه محمداً بقيادة جيش الدولة. وكانت النتيجة هزيمة سعود في معركة المعتلى عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م، وبذلك دخلت البلاد في دوامة من الحروب والمشاكل الداخلية.

وفي خلال هذه الظروف، ومع تذبذب البلاد النجدية وغيرها في الولاء لأحد الأخوين، كان كل منهما ينظر إلى الرياض على أنها منطلق الشرعية لحكم الدولة السعودية الثانية. فالإمام عبدالله، الذي يعتبر نفسه الإمام الشرعي، يرى أن الرياض هي صمام الأمان لبقائه في الحكم، بينما يرى الأمير سعود أن تمكنه من إحراز نفوذ في بعض البلاد خارج بلاد نجد، أو داخلها لا يكسبه الشرعية للحكم، ولذلك كان يقوم بعملياته العسكرية وعينه على الرياض. كانت نتيجة معركة جودة في الأحساء عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م بين جيش الدولة بقيادة الأمير محمد بن فيصل وبين جيش سعود نقطة تحول في نزاع الأخوين حيث وقع الأمير محمد، الساعد الأيمن لأخيه الإمام عبدالله في الأسر، وكانت نتيجة

المعركة في صالح الأمير سعود حيث دخلت المنطقة الشرقية من البلاد تحت طاعته، مما فتح له المجال للتقدم نحو الرياض.^(٨٨) وفي المقابل كانت هزيمة جيش الدولة في جودة صدمة عنيفة للإمام عبدالله، زادها إيلاماً تقاعس أنصاره السابقين في حائل والقصيم. وبهذه النتيجة، وحينما توجه سعود إلى الرياض لانتزاع الحكم من الإمام عبدالله، قرر الأخير ترك العاصمة وبدأ يبحث عن أنصار من القبائل، كما استنجد بوالي بغداد، وكذلك والي البصرة، ونقيب الأشراف فيها لمساعدته في الوقوف ضد أخيه سعود.^(٨٩) ورغم رجحان كفة الأمير سعود إلا أن الأمور لم تتجه كما كان يريد. فبينما كان مطمئناً إلى ضعف قوة أخيه عبدالله، جاءته جيوش مدحت باشا الجرارة واستطاعت الاستيلاء على الأحساء.^(٩٠)

ومن جهة أخرى، استغل أفراد من جيش سعود، ومن أتباعه من البدو وغيرهم فرصة خروج الإمام عبدالله فعاثوا في الرياض وما حولها من البلدان فساداً، وخاصة بلدة الجبيلة القريبة من الرياض، حيث قاموا بعمليات سلب ونهب، وقطعوا نخيل الجبيلة وخربوا دورها، وتركوها خالية من سكانها.^(٩١) وقد دفع هذا التصرف الموالين للإمام عبدالله في الرياض، وعلى رأسهم عمه عبدالله بن تركي، إلى التدخل ومحاصرة سعود حتى طلب الأمان على أن يترك الرياض. وقد تولى عبدالله بن تركي الأمور في الرياض حتى عاد الإمام عبدالله واستقبله أهلها بالترحيب.^(٩٢) أما سعود فقد اتجه إلى الأحساء عن طريق الخرج لمحاولة مقاومة الجيش العثماني عسكرياً لكنه فشل، كما فشلت جهوده السلمية التي كلف بها أخاه الأصغر عبدالرحمن لثني حكومة بغداد عن

مساعدة الإمام عبدالله^(٩٣). ورغم أطماع مدحت باشا في الأحساء إلا أن ذلك كان في صالح الإمام عبدالله الذي استطاع الوصول إلى الرياض واستلام مقاليد الحكم من عمه عبدالله .

ومرة أخرى استجمع سعود قواه واستنجد بقبائل العجمان وأهالي جنوبي نجد، لكن عبدالله فاجأه بجيش يقوده محمد بن فيصل ومعه عمه عبدالله بن تركي ومعهما أهل الرياض، حيث التقى الجيشان في الدلم، وبمساعدة من سكانها استطاع سعود التغلب على جيش محمد وأسر عبدالله بن تركي وسجنه حتى مات في سجنه بعد عدة أيام. وكان هذا الانتصار حافزاً له للسير إلى الرياض حيث تقابل مع جيش عبدالله وتغلب عليه في الجزعة عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، ونتيجة لذلك اتجه عبدالله إلى بادية قحطان بينما دخل سعود الرياض^(٩٤).

ورغم تمكن سعود من الوصول إلى الحكم للمرة الثانية، والاستحواذ على العاصمة، إلا أن سلطته بقيت مقصورة على الرياض وما حولها، بينما بقيت المنطقة الشرقية بيد الجيش العثماني حيث فشلت محاولة قام بها عبدالرحمن بن فيصل لمقاومة ذلك الجيش، وعندما لم يوفق في هذه المهمة اتجه إلى أخيه سعود في الرياض حيث أقام فيها حتى توفي سعود في ٨ ذي الحجة عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٥م ثم خلفه في الحكم^(٩٥).

ورغم موقف عبدالله الهش، إلا أنه بعد وفاة أخيه سعود تشجع وحاول استعادة الحكم بجيش يقوده أخوه محمد بن فيصل، لكن أخاهما الثالث عبدالرحمن سارع لصد تلك القوات محاولاً بسط سلطته على

الرياض . لم يستقر الحكم للإمام عبدالرحمن حيث حصل بينه وبين أبني أخيه سعود ما أسماه ابن عيسى منافرة.^(٩٦) وقد استغل عبدالله بن فيصل هذه الفرصة، خصوصاً بعد أن تعزز موقفه بانضمام بعض القبائل إليه . وقبل أن يتجه إلى الرياض لانتزاع الحكم كانت هناك وساطة قام بها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن لإقناع عبدالرحمن بالتنازل عن الحكم لأخيه الأكبر عبدالله، وقد استجاب عبدالرحمن على الفور وقبل أن يكون مستشاراً لأخيه ليضع حداً للفتن الداخلية التي أنهكت دولتهم، بل إنه حاول في عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م التوفيق بين أخيه عبدالله وبين ابني أخيه سعود . ويعلق وايندر على موقف الإمام عبدالرحمن بقوله : «من الواضح أن هذه الحادثة أقنعت عبدالرحمن أن الطموح الشخصي يجب أن يبعد لصالح الهدف الكبير، فغادر الرياض والتحق بأخويه عبدالله ومحمد . اتفق ثلاثتهم أن تكون الزعامة لعبدالله مرة أخرى، وساروا إلى الرياض . وعندما علم أبناء سعود بذلك انسحبوا إلى معقل أسرته في الخرج».^(٩٧)

وبهذا آل حكم الدولة السعودية الثانية إلى الإمام عبدالله بن فيصل للمرة الثالثة، لكن شتان بين وضع الدولة عندما استلم الحكم أول مرة، وحالها الآن . ويصف الذكير وضع الإمام عبدالله في الرياض في هذه المرحلة بقوله : «سكنت الأمور نوعاً ما، وصفى لعبدالله القسم القليل مما يليه شمالاً، ولكن هذا السكون لا يصحبه شيء من هيبة الملك ولكن عبدالله قنع بما تحت يديه ولو مؤقتاً».^(٩٨)

وهكذا انحسرت رقعة الدولة التي آلت إلى الإمام عبدالله أخيراً في

منطقة الرياض وما حولها، وبإمكانيات ضئيلة وجيش مشئت. وقد زاد من ضعفه خروج المجمع، عاصمة سدير، ضد الرياض، حيث تحالف أهلها مع ابن رشيد ضد الإمام عبدالله. وقد شجع هذا الوضع المتردي للدولة إلى قيام ابن رشيد بحملات وصلت إلى حدود الرياض.^(٩٩)

وفي عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م قام الإمام عبدالله بآخر محاولة لاستعادة نفوذه في سدير لكن قوة مشتركة من حائل وبريدة فاجأته في الحمادة قرب شقراء انهزم فيها الإمام عبدالله وزال نفوذه عن منطقتي سدير والوشم وأصبحتا تحت نفوذ ابن رشيد، حيث عين عليهما أمراء موالين له بدلاً من الأمراء الموالين للإمام عبدالله.^(١٠٠) ورغم انتصار ابن رشيد إلا أنه لم يحاول التقدم نحو الرياض، بل إنه سمح في العام التالي ١٣٠٢هـ للإمام عبدالله باستعادة سيطرته على سدير والوشم، لكن على الرغم من ذلك بدأت بعض البلدان تخرج على نفوذ الإمام عبدالله مما أدى إلى ضعف مركزه. وقد زاد من ضعف نفوذه فشل محاولة قام بها ابن أخيه محمد بن سعود لإقناع إخوانه المتمركزين في الخرج لبناء الجسور بينهم وبين عمهم الإمام عبدالله بن فيصل، والوقوف صفاً واحداً أمام محاولات ابن رشيد للاستئثار بالحكم، وخوفاً من خروج الأمر عن آل سعود، لكن جهوده لم تثمر عن موقف عملي.^(١٠١)

وهكذا استمرت الرياض مسرحاً للقتال، والحروب، والفتن، والخلاف على الحكم، وأكبر دليل على ذلك تعدد الحكام فيها بعد وفاة الإمام فيصل، حيث تغيرت السلطة العليا في الرياض ثماني مرات خلال الفترة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م حتى عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م.^(١٠٢)

الرياض تشهد نهاية الدولة السعودية الثانية:

يتبين من نتائج الأحداث التي شهدتها الدولة السعودية الثانية، وخاصة الخلافات بين أبناء الإمام فيصل، أن إعادة كيانه ليس بالأمر السهل، وقد زاد الأمر صعوبة بروز قوة آل رشيد بزعامة محمد بن عبدالله بن رشيد. وبسبب هذا الضعف المادي والعسكري تطلع أبناء سعود بن فيصل إلى الحكم حيث دخلوا مدينة الرياض واستولوا على مقاليد الأمور فيها، ثم سجنوا الإمام عبدالله، وذلك في سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م. وفي هذه الحالة استنجد عبدالله بن فيصل بابن رشيد.^(١٠٣)

ومنذ ذلك الوقت استغل ابن رشيد هذه الفرصة وأخذ يخطط للاستيلاء على بلاد نجد بكاملها حيث هب لنجدة الإمام عبدالله على رأس جيش كبير حاصر به الرياض مدعياً أنه سيعيدها إلى حاكمها الشرعي، وهو الإمام عبدالله، لكن ابن رشيد بعد أن حاصر الرياض لمدة عشرين يوماً، تم الصلح بالاتفاق مع أعيان أهل الرياض، على حل الخلاف بين الطرفين بإقناع أبناء سعود على أن يقتصر حكمهم على منطقة الخرج وما حولها، وخروج عبدالله من السجن، وأن يتولى محمد بن فيصل على الرياض، وأن يدخل هو الرياض بدون قتال. ومع أنه استطاع الإفراج عن عبدالله بن فيصل إلا أنه لم يمكنه من حكم الرياض بل اضطجه معه إلى حائل مع أخيه عبدالرحمن وعين سالم بن سبهان، الذي يرتبط معه بصلة النسب، أميراً على الرياض من قبله. وبذلك خرجت الرياض لأول مرة من حكم آل سعود، وكان ذلك إيذاناً بزوال الدولة السعودية الثانية.^(١٠٤)

لقد بات واضحاً، من خلال الأحداث السابقة، تفوق قوة محمد بن

عبدالله بن رشيد داخل بلاد نجد، وبداية اضمحلال قوة ونفوذ الدولة السعودية. ومع أن ابن رشيد استطاع الوصول إلى الرياض وتعيين أمير من قبله هناك، إلا أنه لم يحاول أن ينقل مقر حكمه إلى الرياض قبل أن يتأكد من رسوخ نفوذه هناك، والقضاء على القوى المناوئة له. لقد كان وجود بعض أفراد من زعماء آل سعود، وخاصة أبناء سعود بن فيصل، وبعض زعماء البلاد النجدية المتعاونة، أو المؤيدة للدولة السعودية، يشكل عقبة في سبيل خضوع بلاد نجدية أخرى إلى ابن رشيد، لهذا أمر عامله على الرياض سالم بن سبهان بالقيام بحملة ضد أبناء سعود المتمركزين في الخرج. وقد استطاع القضاء على قوتهم بقتل ثلاثة منهم. وبعد أن احتج الأهالي بادر إلى عزل ابن سبهان وتعيين فهاد بن عويد بن رخيص الشمري.^(١٠٥)

ورغم تعيين ابن رشيد أمراء من قبله على الرياض، فقد استمر حكم الإمام عبدالله اسمياً في الرياض حتى وفاته في شهر ربيع الآخر عام ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م، حيث بويع الإمام عبدالرحمن بالإمامة بالإجماع، وخاصة من قبل سكان الرياض والمناطق المحيطة بها مثل المحمل والشعيب، وكذلك بلدان جنوبي نجد، لما امتاز به من الكفاءة والمقدرة وبعد النظر وحسن التدبير. وقد وضع نصب عينيه إصلاح الأخطاء، وتضميد الجراح، وحشد طاقات البلاد للإصلاح، لكنه واجه مشاكل داخلية أهمها أطماع آل الرشيد.^(١٠٦) فعلى الرغم من تولي الإمام عبدالرحمن الحكم في الرياض إلا أن محمد بن عبدالله بن رشيد أعاد سالم السبهان رئيساً للحامية فيها مرة أخرى بعد أن سحبها على إثر تولي الإمام عبدالرحمن الحكم مما يعني تقليص نفوذه، كما أنه يدل من

الناحية السياسية، على أن الحكم الفعلي أصبح بيد ابن رشيد حيث كانت سلطة الإمام عبدالرحمن سلطة إسمية يريد أن يستغلها ابن رشيد للإبقاء على الأمر الواقع حتى يتخلص من باقي أعدائه، وخاصة زعماء القصيم الذين شكلوا حلفاً ضده .

ومع أن سلطة الإمام عبدالرحمن كانت اسمية، إلا أنه أراد أن يظهر نوعاً من القوة، وكان ذلك بتشجيع من ابن مهنا؛ حيث قام بالقبض على ابن سبهان بعد أن اكتشف أنه كان يدبر مؤامرة ضده، فخشي أن يكون مصيره كمصير أبناء سعود بن فيصل^(١٠٧) وعندما علم ابن رشيد بما حل بعامله على الرياض، قام على الفور بتجريد حملة عسكرية ضد الإمام عبدالرحمن عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م حيث حاصر العاصمة، الرياض، مدة أربعين يوماً وقطع نخيلها ودمر بساكنيها، لكنه في النهاية رحب بالتفاوض مع أهل الرياض ليتفرغ للقضاء على قوة أهل القصيم^(١٠٨). أدت المفاوضات إلى تثبيت مركز الإمام عبدالرحمن في الرياض والخرج على أن يطلق سراح ابن سبهان مقابل أن يطلق ابن رشيد ما لديه من الأسرى وخاصة من آل سعود، وأن ينقل ابن رشيد حاميته من الرياض^(١٠٩).

كانت المواجهة مع أهل القصيم مسألة مصيرية بالنسبة لابن رشيد نظراً لما تشكله منطقة القصيم من قوة عسكرية كانت على الدوام نداءً لإمارة جبل شمر، وكانت السيطرة عليها تعني الشيء الكثير بالنسبة لابن رشيد نظراً لما تتمتع به تلك المنطقة من أهمية سياسية، وجغرافية، واقتصادية، واجتماعية، لذلك استجمع قواه وسار إلى القصيم حيث وصلها قبل أن يصل الإمام عبدالرحمن بقوة من الرياض. ورغم توجه ابن رشيد إلى القصيم، إلا أن عينه على الرياض، حيث سارع بمجرد

علمه بخروج الإمام عبدالرحمن من العاصمة الرياض لنجدة أهل القصيم فأرسل حامية إلى الرياض . وفي القصيم وقعت بين الطرفين المعركة الفاصلة في المليدا دارت فيها الدائرة على أهل القصيم حيث قتل منهم حوالي ألف رجل على رأسهم زامل بن سليم أمير عنيزة، كما وقع حسن ابن مهنا في الأسر، وبنتيجة هذه المعركة خضعت منطقة القصيم بكل ثقلها لحكم ابن رشيد . وفي الرياض، وصلت الحملة التي بعثها ابن رشيد بقيادة فهاد بن عويد بن رخيص، كما عين ابن رشيد محمداً بن فيصل أميراً على الرياض .

ورغم أن مسألة الحكم في نجد قد حسمت بمعركة المليدا، إلا أن الإمام عبدالرحمن بدأ يهاجم مناطق جنوبي نجد، وقد تشجع بانضمام إبراهيم بن مهنا الذي أراد الانتقام لأخيه حسن . كما حاول الإمام عبدالرحمن من جانب آخر الاتصال بالدولة العثمانية من أجل التفاوض على بقائه حاكماً على نجد من قبلها . وقد قبل الباب العالي مبدأ التفاوض مع الإمام عبدالرحمن ليس من أجل مساعدته، بل من أجل تحقيق توازن بين القوى في المنطقة، خصوصاً بعد الانتصارات المتوالية التي حققها ابن رشيد على حساب الدولة السعودية، وما قد يفرزه ذلك من تطلع ابن رشيد إلى تحقيق مكاسب سياسية على حساب الدولة العثمانية نفسها، كما فعل محمد علي باشا من قبل . لم تدعم الدولة العثمانية الإمام عبدالرحمن عسكرياً، لكنها شجعت على مهاجمة الرياض والاستيلاء عليها ليكون حاكماً على منطقة الرياض والخرج من قبل الدولة العثمانية، وأن يكون تابعاً لها . ومع أن الإمام عبدالرحمن كان متردداً في الهجوم على الرياض، خاصة بعد أن عرف بنتيجة معركة

المليدا، لقناعته بضعف إمكانياته أمام إمكانيات ابن رشيد، إلا أن فرقة من جيشه وصلت إلى الرياض ودخلتها. وعندما علم ابن رشيد قام في شهر ربيع الآخر من العام نفسه بحملة ضد الإمام عبدالرحمن في الرياض وانضم إليه مؤيدوه من أهل القصيم والوشم وسدير. وعندما بلغ الإمام عبدالرحمن قيام ابن رشيد بحملته جمع جموعه من أهل الرياض، ومن المؤيدين له من خارجها ومن أهل البادية. وقد التقى الجمعان قرب حريملاء فكان النصر حليف ابن رشيد، فرجع الإمام عبدالرحمن إلى الرياض، لكن ابن رشيد لم يتبعه بل رجع إلى بلاده. ويقول الذكير إن ابن رشيد ترك الإمام عبدالرحمن يعود إلى الرياض ولم يتبعه «لعلمه أنه لا يثبت فيها فترك له الفرصة» وعندما علم الإمام عبدالرحمن أنه لا فائدة من المقاومة بعد أن تغلب ابن رشيد على جميع نجد خرج من الرياض مع عائلته وقصد الأحساء أواخر عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م. وبذلك انتهت محاولات الإمام عبدالرحمن لاستعادة الحكم، وانتهت بذلك الدولة السعودية الثانية من الناحية السياسية.^(١١٠)

أما الرياض، عاصمة الدولة السعودية الثانية، فقد كانت على موعد مع انتقام ابن رشيد، حيث سيطر عليها، وأمر بهدم سورها وقصرها القديم والجديد، وذلك في عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م. وبذلك تخلى الإمام عبدالرحمن عن مسألة استعادة الرياض، وخصوصاً بعد أن عرف أن ابن رشيد جدد تعيين محمد بن فيصل أميراً اسماً عليها.^(١١١)

ومن خلال وصف المؤرخين المحليين والأجانب يتبين مدى الدمار الذي حل بالرياض من جراء انتقام ابن رشيد. يقول ضاري بن رشيد... : «حالا قدم ابن رشيد وقض السور الذي محيط بالبلدة وقض

الحصن»^(١١٢) ويقول ابن عيسى عن حملة ابن رشيد: « ثم سار إلى الرياض وأمر بهدم سورها، وهدم القصر الجديد، والقصر العتيق، فهدموا ذلك». ^(١١٣) ويقول لوريمر إن ابن رشيد أمر: « بتسوية أسوار الرياض بالأرض عن طريق تسخير أهل البلد بالقيام بهذا العمل، وقطع نصف أشجار النخيل، وهدم قلعة الأمراء الوهايين»^(١١٤).

ومنذ ذلك التاريخ دخلت بلاد نجد تحت نفوذ ابن رشيد بلا منازع حتى تمكن الملك عبدالعزيز، رحمه الله، من استعادة الرياض في الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩ هـ الموافق الخامس عشر من شهر يناير عام ١٩٠٢م في خطوة استطاع في نهايتها استعادة ملك آبائه وأجداده .

الدور الحضاري للرياض

أولاً: النهضة العلمية:

بعد أن أصبحت الدرعية مقر الدعوة وعاصمة الدولة السعودية الأولى، وبعد استقرار الأوضاع الأمنية والسياسية والاجتماعية فيها، انتعشت من الناحية العلمية، ووفد عليها طلاب العلم من داخل الجزيرة ومن خارجها، كما تعددت فيها حلقات الدروس الدينية التي كان يقوم بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأبنائه وتلاميذه. وأصبح العلماء ينالون المكانة العالية والمناصب الرفيعة. وقد ساعد ذلك على الاهتمام بالعلم، وازداد المترددون على حلقاته، وأصبحوا يتنافسون على تحصيله، فبرزت من جراء ذلك حركة علمية كبيرة.^(١١٥) ولكن لم يقدر لهذه النهضة العلمية أن تستمر بسبب ما أصاب الدرعية من خراب شامل على أيدي قوات إبراهيم باشا، فتعطل العلم فيها من جراء ذلك، وقلّت حلقاته، وهاجر أبرز العلماء إلى البلاد النجدية الأخرى، عدا من رُحِّل منهم إلى مصر.

وعندما قامت الدولة السعودية الثانية، واستقرت أوضاعها نسبياً، بدأت الرياض، التي اتخذها الإمام تركي بن عبد الله عاصمة للدولة، كما فصلنا ذلك من قبل، تأخذ دورها السياسي والحضاري. فالرياض التي خلفت الدرعية كعاصمة للدولة، ورثت أيضاً دورها الحضاري، وخاصة في نهضتها العلمية، وفي وفرة العلماء، ونشاطهم، وإقبالهم وتشجيعهم على إقامة حلقات العلم.^(١١٦)

ولا شك أن الناحية العلمية في مدينة الرياض في أوائل عهد الدولة

السعودية الثانية قد تعززت بوصول الشيخ عبدالرحمن بن حسن، حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، إلى الرياض قادماً من مصر بناء على رغبة الإمام تركي ابن عبدالله وذلك في عام ١٢٤١هـ الموافق ١٨٢٥م. وقد فرح الإمام تركي بمقدمه وأكرمه غاية الإكرام، كما فرح بمقدمه عامة الناس، ثم حل محل جده في إدارة الشؤون الدينية في الدولة، وإبداء المشورة في تسيير أمورها العامة.^(١١٧) وبذلك تعززت مدينة الرياض وأصبحت مركز الثقل في عهد الدولة السعودية الثانية من الناحية العلمية والإدارية والعسكرية.

إن النهضة العلمية التي قامت في الرياض كانت حصيلة نهضة علمية تراكمية، سرعان ما أصبحت من المظاهر الحضارية التي ذاع صيتها في أنحاء الجزيرة العربية، بل في خارجها، حتى إن خصوم الدولة السعودية لم يستطيعوا إلا أن يعترفوا بهذه النهضة العلمية. ومما يروى في هذا المجال، أن إبراهيم باشا لما عاد إلى القاهرة بعد قضائه على الدولة السعودية، وتدمير الدرعية جاءه العلماء وشيوخ الأزهر مهثئين فلم يلتفت إليهم، ولم يهتم بهم. وحين سئل عن ذلك قال: العلماء الحقيقيون هم في صحاري نجد. وذلك لما رأى من إيمانهم، وصدقهم، وتمثلهم لأُمور السلف الأوائل.^(١١٨)

ومن غير شك، فإن النهضة الحضارية في مدينة الرياض اتخذت مظاهر متنوعة، ومن أهم تلك المظاهر التي قامت خلال عهد الدولة السعودية الثانية، انتشار التعليم الديني في المساجد لتعليم القرآن الكريم، وتدريس العلوم الدينية الأخرى مثل: التوحيد، والتفسير، والحديث، والفقه، والقراءات، كما شملت تدريس العلوم اللغوية مثل: النحو

والصرف، وعلم الكلام، والتاريخ، هذا بالإضافة إلى العلوم الأولية كالقراءة والكتابة، لكنها لم تكن تشمل العلوم العصرية.^(١١٩) وهذا النوع من التعليم عرف في الدولة السعودية الثانية، كما كان في الدولة السعودية الأولى، بالكتاتيب، وهي على مستويات أولية لتدريس القراءة والكتابة، أو على مستوى أعلى لتدريس العلوم الدينية والعربية والاجتماعية، وهي التي يصفها بعض المؤرخين، وخاصة الغربيين منهم بالمدارس.^(١٢٠) وفي الحقيقة فإن ما يسمى كتاتيب وحلقات التدريس ومدارس كلها متصلة الحلقات حيث إن الكتاب والحلقات كثيراً ما تتحول إلى مدارس.^(١٢١)

والحقيقة أن الاهتمام بالناحية العلمية، وتشجيع العلم، كان يلقي القبول والتشجيع من مختلف الفئات، سواء من قبل أئمة الدولة، أو من قبل العلماء، أو من قبل عامة الناس حتى إن الرياض كانت ملتقى كثير من العلماء من مختلف أنحاء الجزيرة العربية، وبذلك أصبح دورها الحضاري مشاهداً للعيان. فالأئمة من جانبهم كانوا حريصين على نشر العلم، وتشجيع العلماء وتقديرهم، وكانوا يحضرون بأنفسهم مجالس العلم، بل ويجمعون الناس ويحثونهم على حضورها. فالإمام تركي بن عبد الله نشأ في جو علمي مفعم بمزيج من التدين والحماس، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم أصول الدين، ومبادئ الشريعة.^(١٢٢) ويقول ابن بشر عن حرصه على مجالس العلم: «وكان لا يخل بمجالس الدروس، واجتماع المسلمين، وفي كل يوم خميس واثنين يخرج من قصره فيجمع الناس لذلك أجمعين، وكان العالم المقدم في ذلك المجلس الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكانت القراءة عليه فيه تارة في التفسير، وهو الأغلب، وتارة في الحديث، أو في شرح

كتاب التوحيد». ^(١٢٣) وفي مجال تطبيق الشريعة الإسلامية، وهي عماد النهضة العلمية، كان الإمام تركي أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وكان يرسل النصائح دائماً إلى أهل البلدان، من الخاص والعام، يحضهم على القيام بشرائع الإسلام، والمحافظة على الصلوات في الجماعات والنهي عن المعاملات الربوية. ^(١٢٤) ففي رسالته بمناسبة توليه الإمامة، نجد في أسلوبه أسلوب العالم، الذي ينصح الأمة، ويفصل في قضايا العقيدة والمعاملات، ويحذر من المحرمات من الربا وغيره، ويحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضرورة قيام كل إنسان بمسؤوليته، من منطلق أن راع مسؤول عن رعيته. ^(١٢٥)

أما الإمام فيصل فكان مثل أبيه في حرصه على العلم، وتشجيعه للعلم والعلماء وتقديرهم، والعلم على نشر الإسلام. وكان يكرم حملة القرآن، والعلماء، والصلحاء، وكان يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وهو صغير، ثم حافظ على تلاوته والتهجد به في شبابه، وعندما كبر، وكان له حظ من الليل، والقيام فيه، وكثرة التضرع والابتهاال عند الله. ^(١٢٦) وكان سلوكه الدين، وحفظه للقرآن، ومحافظته على الشريعة مثار تقدير عامة الناس في بلاد نجد وفي خارجها. ولإمام فيصل رسائل كثيرة تدل على علمه وفضله وتدينه، وتبحره في قضايا العقيدة وأحكام المعاملات، «فهو معلم ومرب دون شك، فمن جهوده في مجال التعليم والتوجيه كتابة النصائح وبعثها للبلدان والأمر بقراءتها في المساجد ونسخها وإعادة قراءتها بعد كل فترة. وبعض رسائله تدل على علمه بالتفسير وأقوال المفسرين». ^(١٢٧) وفي هذا المجال، يروي ابن بشر أنه عندما كان الإمام فيصل في مصر كان يتردد إليه كثير من أهل مصر إذا

كان في أحد منهم مرض، فيقرأ عليهم، وكانوا يرون أثر الشفاء من قراءاته ودعائه. وعندما تولى حكم الدولة، كان يحب العلماء ومجالستهم، وكان يحترم صغيرهم ويوقر كبيرهم. وكان مثل آبائه، يحرص على نصيح الأمة، وكان يكتب في كل عام نصيحة عامة يرسلها إلى كل نواحي الدولة، يبين لهم فيها أهمية تطبيق الشريعة والعمل بها، والاهتداء بسنة الرسول ﷺ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.^(١٢٨) ولم يكن الإمام فيصل يترك حلقات الدرس حتى وهو في حملاته العسكرية. وفي هذا المجال يذكر ابن بشر أنه حضر مجتمع الدرس الذي يحضره الإمام فيصل بعد صلاة العصر في صيوان الإمام في أثناء حملته على ابن حثلين عام ١٢٦٢هـ، وكانوا يجتمعون كل يوم، ولم يكن يختلف عنه أحد من أعيان الجيش، وكان الجالس للتدريس الشيخ عبدالرحمن بن حسن، والقارئ عليه ابن عمه عبدالله بن حسن، وكان يقرأ في السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية.^(١٢٩)

هذا هو ديدن أشهر إمامين من أئمة الدولة السعودية الثانية، الإمام تركي بن عبدالله، وابنه الإمام فيصل، فلا غرابة إذن أن تأخذ عاصمتهم قصب السبق في النهضة العلمية، وأن يكون لها الدور الرائد في هذه النهضة. لكن كيف كان دور العلماء في تنشيط النهضة العلمية التي شهدتها الرياض، عاصمة الدولة السعودية الثانية؟، وما مدى إسهامهم في حلقات العلم ودروسه؟ وهل تأثرت هذه النهضة العلمية بالتذبذب الذي شهدته الدولة، وعدم استقرار الحكم فيها؟. لا شك أن الإجابة على هذه الأسئلة ستكون عكس كل التوقعات، حتى المتفائلة. فإذا كان سقوط الدولة السعودية الأولى عام ١٢٣٣هـ، وتدمير الدرعية على يد إبراهيم

باشا كان كارثة سياسية، واجتماعية، ونفسية على أهل نجد عامة، وعلى آل سعود وآل الشيخ بصفة خاصة، فإن هذا الحدث، مع شديد وقعه، كان له آثار إيجابية، وخاصة في الناحية العلمية، فقد نزع عن الدرعية معظم، إن لم يكن كل سكانها، وكان ممن غادرها العلماء، وطلبة العلم الذين اتجه معظمهم إلى الرياض، خاصة بعد أن أصبحت عاصمة الدولة السعودية الثانية، وبعضهم اتجه إلى البلاد النجدية الأخرى، فاستفاد هؤلاء وأفادوا في الناحية العلمية. كما أن النقل الإجباري لبعض زعماء آل سعود وآل الشيخ إلى مصر أفاد العلماء، وخاصة من آل الشيخ بأن اطلعوا على حياة علمية زاهرة في مصر تمثل في الجامع الأزهر، وغيره من مراكز العلم الشرعية. كما استفادوا من اتصالهم بالعلماء هناك، حيث تلاقحت أفكارهم، وعندما عاد أغلب علماء نجد إلى بلادهم، بعد استقرار الأوضاع السياسية نسبياً في الدولة السعودية الثانية، كان لهم تأثير إيجابي على الناحية العلمية في الرياض خاصة أنها عاصمة البلاد.

لقد برز على الساحة العلمية في مدينة الرياض عدد من العلماء الأفاضل، مما يؤكد الدور الحضاري للرياض في عهد الدولة السعودية الثانية. لقد كانت هذه المدينة محط أنظار العلماء وطلاب العلم. ومن أبرز العلماء فيها آل الشيخ، وكذلك العلماء من غيرهم، وهم الذين نشأوا في الرياض منذ صغرهم، ثم كان لهم دور كبير في حلقات العلم فيها، ومنهم: الشيخ علي بن حسين آل الشيخ (ت ١٢٥٧هـ)، والشيخ عبدالرحمن ابن حسن آل الشيخ (١١٩٣ - ١٢٨٥هـ)، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (١٢٩٣ - ١٢٢٥هـ)، والشيخ محمد بن سلطان (١٢١٣ - ١٢٩٨هـ)، والشيخ إسحاق بن

عبدالرحمن آل الشيخ (١٢٧٦ - ١٣١٩هـ)،، والشيخ عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ (١٣١٩هـ)، والشيخ عبدالعزيز بن صالح بن مرشد المرشدي، (١٢٤١ - ١٣٢٤هـ)، والشيخ ابراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ، (١٢٨٠هـ - ١٣٢٩هـ)، والشيخ حسين بن حسن آل الشيخ (١٢٨٤-١٣٢٩هـ)، والشيخ عبدالله بن محمد الخرجي (ت ١٣٣٤هـ)، والشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ (١٢٦٥-١٣٣٩هـ)، والشيخ حسن بن الشيخ حسن بن حسين آل الشيخ (١٢٨٤-١٣٢٩هـ)، والشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن بشر (١٢٤٥-١٣٥٩هـ)، والشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف (١٢٨٨-١٣٦٦هـ)، والشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ (١٢٧٣-١٣٦٧هـ)، والشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٢٨٧-١٣٧٢هـ)، والشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ (١٢٨٧-١٣٧٨هـ).^(١٣٠)

ليس هذا فحسب، بل إن دور الرياض الحضاري، ووجود عدد كبير من فحول العلماء فيها، شجع بعض العلماء من البلدان النجدية الأخرى على الانتقال إليها للاستزادة من العلم الشرعي، حتى إن بعضهم أقاموا حلقات العلم الخاصة بهم، بل إن منهم من جاء من بلاد بعيدة في الجزيرة العربية. ومن الأمثلة على هؤلاء: الشيخ إبراهيم بن حمد بن عيسى، (١٢٠٠-١٢٨١هـ)، ولد في شقراء وتعلم في بلده، ثم رحل إلى الرياض لطلب العلم في عام ١٢٨١هـ، والشيخ عبدالرحمن بن محمد المانع، (١٢٣١-١٢٨٧هـ)، ولد في شقراء، ثم انتقل إلى الرياض للاستزادة من العلم الشرعي، والشيخ محمد عبدالله بن سليم، (١٢٤٠-١٣٢٣هـ)، ولد في بريدة وتعلم بها، ثم سافر إلى الرياض

لطلب العلم على أيدي علمائها الكبار، والشيخ إبراهيم بن سيف، (ت حوالي عام ١٢٥٥هـ) ولد في ثادق وتعلم بها أولاً، ثم رحل إلى الرياض لاستكمال تعليمه هناك، والشيخ ناصر بن سليمان بن سيف، (١٢٤٨-١٣٣٩هـ)، ولد في بريدة وتعلم بها، ثم رحل إلى الرياض لاستكمال تعليمه هناك، والشيخ راشد بن جريس، (١٢٥٠-١٣٠٣هـ)، ولد في بلدة نعام من حوطة سدير، ثم انتقل إلى الرياض لطلب العلم فيها، والشيخ أحمد بن عيسى، (١٢٥٣-١٣٢٩هـ)، ولد في شقراء، ثم سافر إلى الرياض لمزيد من تحصيل العلم، والشيخ حمد بن عبدالعزيز العوسجي، (١٢٤٥-١٣٣٠هـ)، ولد في ثادق وتعلم في بلده، ثم سافر إلى الرياض لطلب العلم، والشيخ عيسى المهوس، (١٢٥٤-١٣٥٠هـ)، ولد في حائل وتعلم فيها، ثم رحل إلى الرياض للمزيد من طلب العلم، والشيخ عبدالله بن محمد بن دخيل، (١٢٦٠-١٣٩٨هـ)، ولد في المجمعة، ثم انتقل إلى الرياض عام ١٢٨٢هـ وتعلم بها، والشيخ حمد ابن عتيق، (١٢٢٧-١٣٠١هـ)، ولد في الزلفي وتعلم على أيدي بعض علمائها، ثم سافر إلى الرياض لاستكمال تعليمه، والشيخ حمد بن فارس، (١٢٦٣-١٣٤٥هـ)، من بلدة العطار، ولد وتعلم في بلده ثم سافر إلى الرياض، والشيخ زيد بن محمد آل سليمان، (ت ١٣٠٧هـ)، ولد في الحريق، ثم رحل إلى الرياض لتلقي العلم على علمائها، والشيخ سليمان بن سحمان، (١٢٦٦-١٣٤٩هـ)، ولد في قرية السقا قرب أبها وتعلم بها، ثم انتقل إلى الرياض في عهد الإمام فيصل بن تركي لتلقي العلم على أيدي بعض علمائها، والشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن عدوان، (١٢٢٩-١٢٨٥هـ)، ولد في حريملاء، ثم رحل إلى

الرياض لمتابعة تعليمه هناك، والشيخ عبدالعزيز بن حسن آل حسن
الفضلي، (ت ١٢٩٩هـ)، ولد في بلدة ملهم وتعلم على أيدي علمائها،
ثم انتقل إلى الرياض لتلقي العلم على بعض العلماء الكبار هناك،
والشيخ عبدالله بن محمد بن مفدى، (١٢٧٢-١٣٣٧هـ)، ولد في بريدة
وتعلم بها، ثم انتقل إلى الرياض لطلب المزيد من العلم، والشيخ
عبدالله بن مسلم التميمي، (١٢٦٨-١٣٤١هـ)، ولد في الحلوة وتعلم
بها، ثم انتقل إلى الرياض لطلب العلم، والشيخ عبدالعزيز بن حمد بن
علي بن عتيق، (١٢٧٧-١٣٥٩هـ)، ولد في ليلي بالأفلاج حيث تلقى
تعليمه هناك، ثم انتقل إلى الرياض لمتابعة العلم على أيدي علماء
الرياض، والشيخ سعد ابن حمد بن عتيق، (١٢٧٩-١٣٤٩هـ)، ولد في
قرية العمار بالأفلاج وتعلم بها، ثم انتقل إلى الرياض للمزيد من العلم
على أيدي علماء الرياض، والشيخ عبدالله بن جبر، (ت ١٢٦٨هـ)،
ولد في منفوحة، ثم رحل إلى الرياض لتلقي العلم فيها، والشيخ عبدالله
ابن حمد بن علي ابن عتيق، (ت ١٣٤٢هـ)، ولد في بلد العمار
بالأفلاج وتعلم فيها، ثم سافر إلى الرياض لاستكمال تعليمه هناك،
والشيخ عبدالله بن خلف الراشد، (١٢٦٥-١٣٤٤هـ)، ولد في حائل
وتعلم بها على يد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، الذي قدم إلى حائل
بطلب من الأمير محمد بن رشيد عام ١٣١٣هـ، ثم عين قاضياً في تيماء
ثم انتقل منها إلى الرياض، والشيخ عبدالله بن راشد بن جلعود،
(ت ١٣٣٩هـ)، ولد في بلدة القصب، إحدى بلدان الوشم، حيث تعلم
على علمائها، ثم انتقل إلى الرياض واشتغل بالزراعة مع انشغاله بطلب
العلم، حيث كان يتردد على علماء الرياض، والشيخ عبداللطيف بن

حمد بن عتيق، (١٢٨٢ - ١٣٥٠هـ)، ولد في بلد العمار بالأفلاج وتعلم بها، ثم انتقل إلى الرياض، والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، (١٢٨٧ - ١٣٥٠هـ)، ولد في ثرمدا، إحدى بلدان الوشم وتعلم بها أولاً، ثم سافر إلى الرياض في سن السادسة عشرة، وصار يتردد بين بلدته ومدينة الرياض فيقضي الخريف والشتاء عند والدته في بلده، والربيع والصيف في الرياض، ومكث على ذلك ١١ عاماً، والشيخ علي ابن عبدالله بن عيسى، (١٢٤٩ - ١٣٣١هـ)، ولد في شقراء وتعلم على علمائها، ثم سافر إلى الرياض لطلب المزيد من العلم على أيدي علمائها الكبار، والشيخ فوزان ابن سابق بن فوزان، (١٢٧٥ - ١٣٧٣هـ)، ولد في بريدة وتعلم بها أولاً، ثم سافر إلى الرياض لطلب العلم، والشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف، (ت ١٢٦٥هـ)، من أهل بلدة ثادق، تعلم بها، ثم سافر إلى مصر سنة ١٢٥٤هـ، وكان في الرياض أثناء حصار الإمام فيصل لقاتل أبيه. والشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود، (١٢٥٠ - ١٣٣٣هـ)، ولد في ضرما وتعلم بها، وفي عام ١٢٦٥هـ رحل إلى الرياض لطلب العلم، والشيخ محمد ابن عمر بن سليم، (١٢٤٥ - ١٣٠٨هـ)، ولد في بريدة وتعلم على علمائها، ثم رحل إلى الرياض للاستزادة من العلم الشرعي، والشيخ محمد ابن مقرن الودعاني الدوسري، (١٢٠٥ - ١٢٦٧هـ)، ولد في قرية الدقلة، إحدى قرى المحمل، وتعلم فيها، وفي عهد عبدالله بن ثنيان قرّبه إليه فجعله مستشاراً له، والشيخ ناصر بن سعود بن عيسى شويمي، (١٢٨٥ - ١٣٥٠هـ)، ولد في شقراء وتعلم على أيدي علمائها، ثم سافر إلى الرياض للاستزادة من العلم على أيدي علمائها، والشيخ عبدالله بن حسين المخضوب، (١٢٣٠ - ١٣١٧هـ)،

ولد في الخرج وطلب العلم في بلده، ثم انتقل إلى الرياض للمزيد من طلب العلم، والشيخ عبدالعزيز ابن حسن بن يحيى الملهمي، (١٢٣١- ١٢٩٨هـ)، ولد في ملهم وتعلم بها، ثم انتقل إلى الرياض، والشيخ عبدالعزيز بن شلوان، (ت أواخر القرن ١٣هـ)، ولد في أحد ضواحي الرياض، ثم انتقل إلى الرياض وقرأ على علمائها، والشيخ عبدالله بن حمد بن عبدالله الحجازي، (ت ١٣٤٧هـ)، ولد في الحجاز، ثم انتقل إلى الرياض وقرأ القرآن وشرع في طلب العلم، والشيخ عبدالله بن حمد الدوسري، (ت حوالي عام ١٣٥٠هـ)، قرأ على علماء الرياض. (١٣١)

ثانياً : النهضة العمرانية:

كانت، ولا تزال، النهضة العمرانية من المظاهر الحضارية التي تشيّد في كل بلد، سواء من قبل الحكام، أو من قبل عامة الناس، وهي من الشواهد على مدى ما وصلت إليه النهضة الحضارية. وما يهمنا في هذه الدراسة هو تلمس المظاهر العمرانية التي تمت في مدينة الرياض في عهد الدولة السعودية الثانية والتي جعلت منها عاصمة رائدة في هذا المجال. ففي بداية عهد الدولة، ونظراً لأهمية مدينة الرياض في نظر الإمام تركي ابن عبدالله، خاصة بعد أن اتخذها عاصمة لحكمه، فقد قام بإصلاحات وتحسينات داخلية كبيرة فيها. وقد شملت هذه الإصلاحات مختلف المظاهر العمرانية والتي كانت ضرورية بالنظر لما أصاب الرياض من آثار الحروب الطويلة خلال عملية ضم الرياض في عهد الدولة السعودية الأولى، والتي استمرت حوالي سبعة وعشرين عاماً، ثم ما حلّ بها من إهمال بسبب الظروف العسكرية التي عاشتها الدولة السعودية الأولى في آخر عهدها، ثم الفترة الانتقالية قبل قيام الدولة السعودية الثانية.

فمن الناحية العمرانية قام الإمام تركي بن عبد الله بإعادة بناء السور حول مدينة الرياض، هو السور الذي بناه لأول مرة دھام بن دواس عام ١١١٦هـ الموافق ١٧٠٤م، وقد استفاد منه خلال حروبه مع الدولة السعودية الأولى التي استمرت حوالي سبعة وعشرين عاماً.^(١٣٢) كما قام الإمام تركي ببناء قصر حصين داخل مدينة الرياض أصبح في عهده قصر الحكم، كما عمل على تنظيم العمل الإداري في القصر. ومن الأعمال الجليلة التي قام بها بناء مسجد جامع كبير في مدينة الرياض يتسع لأربعة آلاف مصل، وهو الموقع الذي أقيم فيه موقع المسجد الجامع الكبير الموجود الآن في الرياض ويحمل اسم الإمام تركي بن عبد الله.^(١٣٣) ومن الواضح أن اهتمام الإمام تركي بتعمير المرافق الحيوية في الرياض، وخاصة اهتمامه بالجامع الكبير بالإضافة إلى قصر الحكم، يدل على مدى إدراكه للأهمية الدينية التي ستبوأها الرياض لإكمال الدور الذي بدأته الدرعية، القاعدة الأولى لنشر الدعوة السلفية، ومصدر التأييد للحكم السعودي، بحيث تكون الرياض مؤهلة للقيام بهذا الدور.^(١٣٤)

ولا شك أن عناية الإمام تركي بمدينة الرياض جعلها مدينة عصرية جميلة قياساً على ما هو موجود من مدن أخرى. ويصف سليمان الدخيل الرياض في ذلك الوقت بقوله: « يحق للرياض أن تكون روضات وجنات في وجنات ديار العرب، فأرضها عبارة عن بساتين متناسقة، فإذا زدت على ذلك لاحظت أن موقعها الطبيعي قد جعلها من أحصن المواقع، بأن أحاطت بها الروابي. وبذلك جمعت بين محاسن حلب الشهباء وروائع دمشق الفيحاء، لأنك تجد فيها كلما في تينك المدينتين أسواراً قائمة وأبراجاً مائلة، تذكر بالعصور الوسطى. والرياض هي اليوم من أحصن

بلاد نجد، لأن حيطانها ثخينة، وأبراجها حصينة ذاهبة في السماء، وقصر أمرائها أمتن القصور، كأنه قلعة بديعة، والناظر إليه من خارج يظنه سجالاً لا قصرًا»^(١٣٥).

ومن غير شك فإن اتخاذ الرياض عاصمة للدولة يفرض نوعاً من التطور العمراني يتناسب مع وضعها الجديد. ومن ذلك أن زيادة أعداد الوافدين إليها للإقامة، أو حتى الزيارة، يتطلب زيادة في المنازل، كما أن اتخاذ الرياض قاعدة للحكم يتطلب إيجاد منازل لموظفي الدولة وعوائلهم، وكذلك حرس الإمام وأسرهم. ومن جهة أخرى استدعى توسع بيت المال إلى بروز الحاجة إلى مخازن في العاصمة لتستوعب الزكاة العينية، كما استدعى الوضع العسكري للدولة إيجاد مستودعات الأسلحة لتجهيز المحاربين. كما أن وفود أعداد كبيرة من الضيوف استدعى إقامة قاعات كبيرة، وأجنحة خاصة، في القصر وخارجه، لاستيعاب هؤلاء الضيوف. وكل ذلك أعطى الرياض نمطاً عمرانياً ما كان ليتم لولا اتخاذها عاصمة للدولة.^(١٣٦)

وعندما تولى الإمام فيصل حكم الدولة السعودية الثانية بعد استشهاد أبيه عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م، كان يدرك الدور الرائد للرياض باعتبارها عاصمة الدولة، ولذلك بذل جهوده في تطوير هذه المدينة، وذلك بإضافة بعض التحسينات المعمارية عليها، حيث زاد مساحة قصر الحكم وتحصيناته، واتخذة سكناً له ولأسرته، كما أعاد بناء المسجد الجامع ووسعه وأدخل في ساحاته بعض الزخارف الإسلامية التي لم تكن معروفة في بلاد نجد في تلك الفترة، كما وضع ممراً علوياً بين المسجد الجامع

وقصر الحكم . كما أعاد الإمام فيصل الأهمية لمسجد الشيخ عبدالله، واهتم بتنشيط دوره العلمي والتعليمي كما كان حال الجامع الأزهر بالقاهرة، وسرعان ما اكتظ بطلاب العلم وحلقات تعليم القرآن الكريم ليلاً ونهاراً، وكان يتولى التدريس فيه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ابن حسن بن محمد بن عبدالوهاب .^(١٣٧)

ومن جهة أخرى، كان الأمير عبدالله بن ثنيان، الذي تولى حكم الدولة بعد خالد بن سعود في الفترة بين ١٢٥٧-١٢٥٩هـ / ١٨٤١-١٨٤٣م، حريصاً على ترك بصماته في مجال الإصلاحات الداخلية، وهو الشخص الذي جاء إلى الحكم من منطلق وطني . وفي هذا المجال، ورغم قصر مدة حكمه نسبياً حيث استمر في الحكم مدة ثمانية عشر شهراً فقط، قام ابن ثنيان بإصلاحات عمرانية في البلاد وخاصة في العاصمة الرياض، حيث أكمل ما بدأه الإمام تركي وابنه الإمام فيصل، ومنها توسعته لقصر الحكم، حيث بنى بداخله مخزناً للذخيرة والسلاح.^(١٣٨) ويدل إكماله لأعمال الحكام السعوديين الذين سبقوه على حرصه على دعم واستمرار الحكم السعودي، وذلك من خلال توطيد مركز ذلك الحكم ورمز منطلقه وشرعيته، وهي الرياض .

ودعماً لبيان حقيقة التطور الذي شهدته الرياض في عهد الدولة السعودية الثانية، ودورها الرائد الذي أخذت مختلف البلاد النجدية تحتذيه، يمكن الاستشهاد بآراء بعض الرحالة والمبعوثين الغربيين الذين زاروا الرياض في عهد الإمام فيصل، لأن آراءهم بعيدة عن المجاملة، خصوصاً أنهم كتبوا آراءهم بعد عودتهم إلى بلادهم .

وصف بلجريف للرياض:

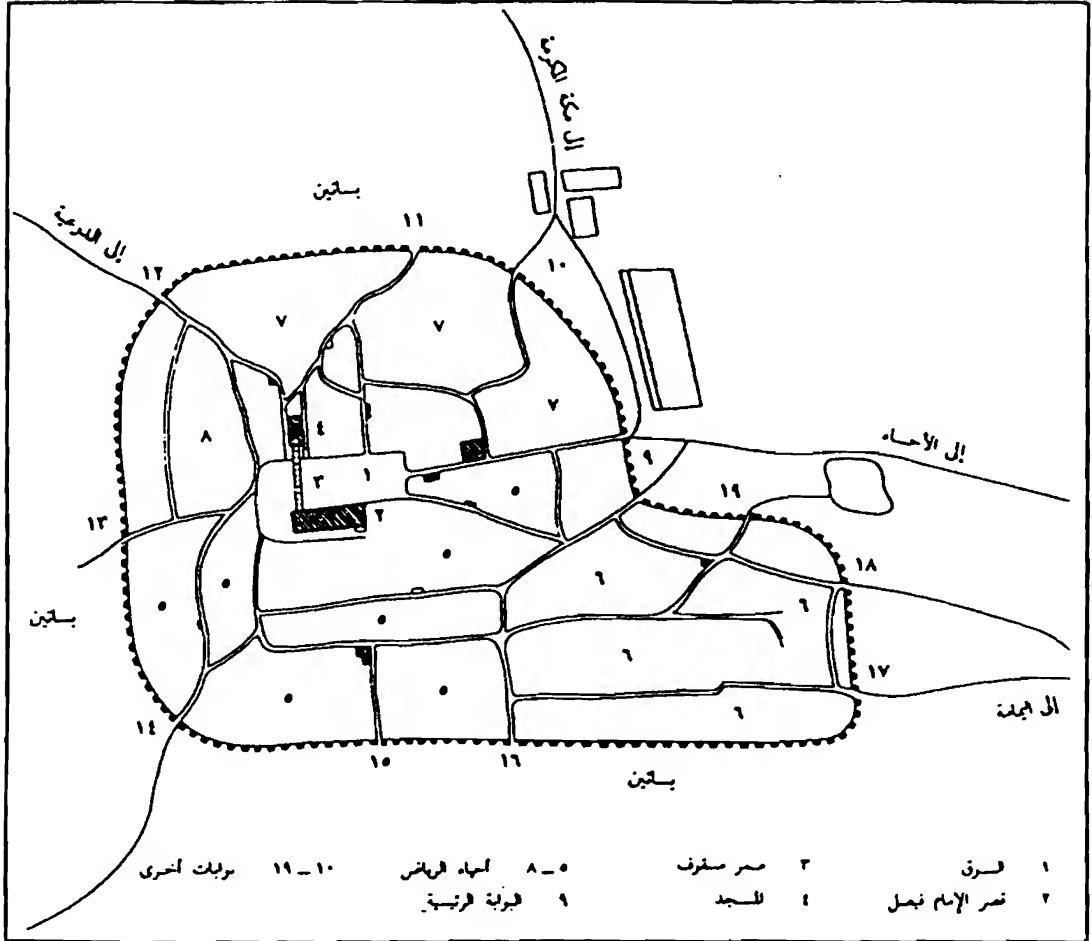
في شهر ربيع الآخر عام ١٢٧٩هـ الموافق ١٣ أكتوبر عام ١٨٦٢م وصل الرحالة البريطاني، وليم بلجريف William Palgrave ، إلى الرياض بعد رحلة سفر عن طريق بريدة والزلفي ثم المجمعمة وجلاجل والتويم ثم ثادق وحريملاء ثم سدوس والعيينة، وذلك ضمن زيارته للجزيرة العربية. وقد جاء متذكراً في زي تاجر مسلم من بلاد الشام، حيث أقام في الرياض مدة ستة أسابيع. وقد طبع بلجريف رحلته بطابع علمي، كما ذكر أن له معرفة بالطب، وأنه ليس أورياً. وكان الهدف من زيارته، بالإضافة إلى الأهداف العلمية التي تركز على اهتمامه بكشف جزيرة العرب، شراء خيول عربية لنابليون الثالث إمبراطور فرنسا. (١٣٩)

ولا شك أن رحلة بلجريف مهمة من جميع النواحي، إلا أن ما يهمنا منها هنا هو تقريره عن الرياض، عاصمة الدولة السعودية الثانية. بدأ بلجريف وصفه للرياض مبدئياً إعجابه بها بقوله: «... وبعد أن تجاوزنا بعض المرتفعات ظهر لنا منظر الرياض كاملاً، وهي الهدف الرئيس من رحلتنا الطويلة، وهي عاصمة نجد، ونصف الجزيرة العربية وقلب قلوبها». (١٤٠) ثم بدأ وصفاً تفصيلياً لموقعها، وطبيعتها الجغرافية، ومظاهر العمران، وقصر الإمام وأبنائه، والمسجد الجامع والساحات المحيطة بالقصر والمسجد، ومظاهر النشاط التجاري. (انظر المخطط الذي رسمه بلجريف للرياض).

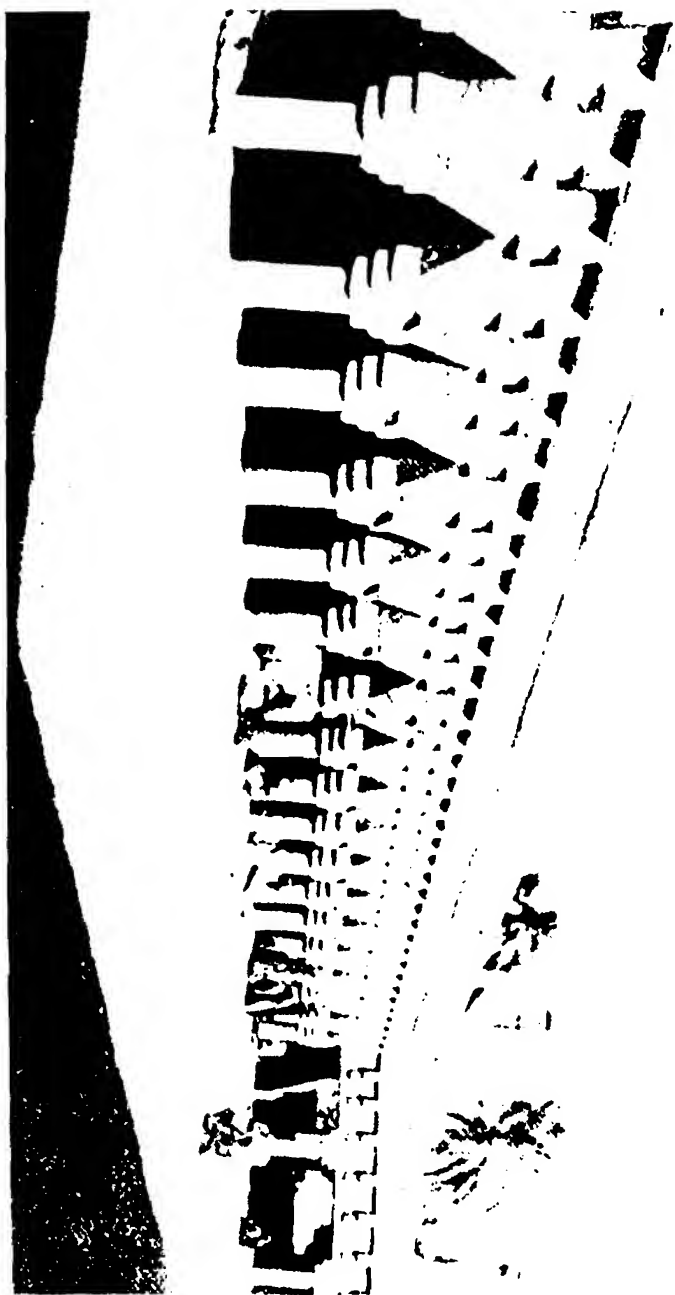
كان دخول بلجريف للرياض من الناحية الشمالية الشرقية حيث توجد المقبرة الكبيرة والطريق إلى الملحق، ومن المقبرة تتفرع عدة ممرات تؤدي إلى أبواب المدينة المختلفة، حيث سلك بلجريف ورفاقه طريقاً

ينتهي بالبواب الشمالي الشرقي ، وهو باب واسع عال ، وعلى جانبه برجان سميكان . ويذكر أنه يوجد في الرياض شارع عريض يؤدي إلى قصر الإمام مباشرة ، وعلى جانبه منازل كبيرة معظمها يتكون من طابقين ، وآبار للوضوء ، ومساجد مختلفة الأحجام وبعض أشجار الفاكهة .

ومن وصف بلجريف للرياض يتبين أنها تقع وسط بساتين النخيل التي تحيط بها بصفة خاصة إلى الغرب والجنوب ، وهذه البساتين تجعل الجو يميل إلى الرطوبة في بعض أيام السنة ، حتى إن بلجريف ذكر أنه شاهد ضباباً خفيفاً فوق الرياض ، كما ذكر أن الناحية الشمالية الشرقية كانت أقل زراعة ، وأغلبها أراض فضاء . كما ذكر أن المزارع تشكل حزاماً يطوق المدينة في منظر بديع ، كما وصف طريقاً فرعياً يمر بين إسطبلات الإمام فيصل من جهة اليمين ومزرعة الشيخ عبداللطيف من الجهة



مخطط مدينة الرياض الذي رسمه بلجريف



● مسجد جامع الإمام تركي زيادة الإمام فيصل .

المسجد الجامع الذي بناه الإمام تركي ، والصورة للزيادة

التي قام بها الإمام فيصل بن تركي للمسجد

نقلًا عن كتاب " قصر الحكم في الرياض " لعبد الرحمن الرويشد ، ص : ٣٣



أحد الأبراج الباقية من بناء الإمام تركي لقصر الحكم في الرياض،
نقلًا عن كتاب " قصر الحكم في الرياض "، لعبد الرحمن الرويشد، ص: ٣١

اليسرى، ثم وصف المقبرة الكبيرة التي تمتد على طول السور الشمالي الشرقي، وفيها قبور كثيرة منخفضة، ليس عليها شواهد، أو علامات، أو كتابات، أو تواريخ، ومن هذه القبور قبر الإمام تركي، والأمير مشاري، والأمير عبدالله بن ثنيان، لكن قبورهم لا تتميز عن الآخرين .

ويصف بلجريف مدينة الرياض نفسها بأنها حصينة، وتقع على ذروة واد مكشوف، وهي واسعة، ومربعة، ومتوجة ببروج عالية، وجدران قوية، تعلوها السطوح والشرفات، وينوف عليها جميعاً مبنى قصر الحكم الخاص بالإمام فيصل، وإلى جانبه يرتفع قصر أصغر منه وأقل بروزاً، وهو القصر الذي بناه وسكنه أكبر أبنائه عبدالله، وهو حديث البناء، متناسب الأطوال، مربع الشكل، وله أبواب مزينة بنقوش جميلة وثلاث مستويات من النوافذ. وتبرز هنا وهناك صروح أخرى ذات مظهر رائع.

ويذكر بلجريف أن الرياض تنقسم إلى أربعة أحياء، حيث يقع في الشمال الشرقي قصور الأسرة الحاكمة، ومنازل موظفي الدولة والتجار ورجال الحكومة، والدور في هذا الحي بصفة عامة عالية البناء، وشوارعها مستقيمة وواسعة إلى حد ما، والطابق الأرضي منخفض، وهو أقل غرف البيت من حيث ملاءمته للصحة. وهناك الحي الموجود في الجهة الشمالية الغربية، وهو الحي الذي سكن فيه بلجريف، وفيه بيوت كثيرة مختلفة الأحجام وغير منتظمة، ويسكنها الغرباء وبعض الأشخاص المشبوهين الذين لا تخلوا منهم المدن الكبيرة مهما وضع من أنظمة. وفي الجنوب الغربي تقع مساكن العلماء، والمطوعة، وأهل البلاد النجدية، كما يسكن في هذا الحي أحفاد الشيخ محمد ابن عبدالوهاب. والمساجد في هذا الحي بسيطة لكنها واسعة المساحة، وفيها مصليات

وآبار الوضوء ومحاريب . والشوارع في هذا الحي فسيحة وهواؤها صحي ، وهذا القسم من المدينة واسع وكثير السكان . أما الحي الجنوبي الشرقي فهو حي كبير ، وسكانه أكثر من الأحياء الأخرى ، لكن لا يشمل سكانه الأعيان أو التجار ، بل سكانه بصفة عامة من الطبقات الدنيا من السكان ، والفلاحين ، والزائرين من القرى المجاورة . وهذا الحي أقل الأحياء نظافة ، وأرضه منخفضة وهواؤه غير صحي . وليس لهذه الأحياء بوابات أو أسوار ، ويفصل بين هذه الأحياء الأربعة شوارع واسعة ، لكن كل حي يمكن أن يعد بلدة مستقلة . ويستدرك بلجريف بأن الحيين الثاني والرابع تخلو منازلها من الحداثق وأشجار الفاكهة ، بينما يوجد قليل منها في منازل الحي الأول ، على حين تكثر في منازل الحي الثالث .

وبصفة عامة تكثر البساتين والمزارع على أطراف المدينة ، حيث تنتشر في الجهة الغربية والجنوبية من مدينة الرياض أشجار النخيل . ويبلغ الحماس ببلجريف إلى حد أنه يشبه موقع الرياض على الوادي بموقع مدينة دمشق من جهة جبال لبنان . وإلى الشمال منه قصر جلوي بن عبد الله الذي أقام فيه بلجريف قبل أن يتقل للسكن في القسم الشمالي الشرقي من الرياض . ويذكر بلجريف الساحة المربعة الكبيرة ، وفي جانبها الأيمن الشمالي دكاكين ومستودعات ، وفي جانبها الأيسر المساكن الضخمة للأسرة الحاكمة ، وإلى الغرب يوجد ممر مغطى مرتفع على أعمدة يقطع عرض الساحة يمتد من القصر إلى المسجد الجامع الكبير . وللإمام فيصل ممر خاص غير مرئي يستعمله للذهاب من بيته إلى صلاة الجمعة . كما وصف بلجريف قصر الحكم والمنطقة المحيطة به ، وكذلك الجامع الكبير .

ومن الأمور الملفتة للنظر ما ذكره بلجريف من وصف للسوق العربي

في الساحة المجاورة لقصر الإمام فيصل . وقد ذكر أنه يجلس في الفضاء وتحت ظل أسوار قصر الإمام فيصل حوالي خمسين أو ستين امرأة يبعن الخبز والتمر واللبن والخضار والحطب، وهناك جمال معروضة للبيع بجانب جمال التحميل، ويوجد كذلك أكياس متراكمة. ^(١٤١)

ويصف بلجريف جامع الرياض بأنه كبير وسطحه مستوٍ على شكل متوازي أضلاع، ويوجد به أعمدة مربعة من الخشب المكسوة بالطين السميك تدعم السقف. ومبنى الجامع منخفض خال من الفن المعماري، وليس فيه مئذنة طويلة لكن هناك مصطبة مرتفعة قليلاً عن مستوى سطح المسجد تعلو المحراب. ويوجد في سطح المسجد غرفة صغيرة يدخل فيها الإمام فيصل عن طريق الممر العلوي المسقوف والموصل بين المسجد وقصر الإمام فيصل. والمسجد يستوعب أكثر من ألفي مصل في وقت واحد، ومثلهم يمكن أن يصلوا في الفناء الأمامي للمسجد، ولا يوجد في المسجد بسط أو سجاجيد. ^(١٤٢)

ومن دلائل التطور العمراني في مدينة الرياض، التي ذكرها بلجريف أنه بالإضافة إلى المسجد الجامع، يوجد هناك ثلاثون مسجداً أو أكثر في أحياء مدينة الرياض، بعضها كبير مثل: المسجد الذي عادة ما يؤم المصلين فيه الشيخ عبداللطيف، وهو يقع في المحلة الثالثة، وكذلك المسجد الذي يصلي فيه الأمير عبدالله يومياً، وهو يقع في المحلة الأولى، وكلاهما خالٍ من أية نقوش أو زخارف. ^(١٤٣)

وبحسب تقديرات بلجريف لسعة المسجد الجامع في الرياض فإن عدد سكان مدينة الرياض يتراوح بين اثني عشر وستة عشر ألف نسمة،

بينما قدر بلجريف سكان خمس عشرة بلدة من بلدان العارض ومنطقة جنوبي نجد بحوالي مائة وعشرة آلاف نسمة. ^(١٤٤)

أما الأسوار المحيطة بالرياض من جميع الجهات فيتراوح ارتفاعها بين عشرين إلى ثلاثين قدماً، وهي قوية، وفي حالة عمرانية جيدة، ويحميها خندق وحواجز من الرمل والحصى. وتقع خلف الأسوار بساتين كثيرة مشابهة لبساتين القصيم من حيث تنظيمها ومحصولاتها. ^(١٤٥)

ويذكر بلجريف أن مهتي الزراعة والرعي تشكل أغلب نشاط سكان مدينة الرياض خاصة، ومنطقة العارض عموماً، وقليل منهم يشتغلون بالتجارة، لكن معظم التجار في مدينة الرياض من غير أهلها، حيث قدموا من كل من: شقراء والزلفي والأحساء والقصيم ونجران والقطيف وعمان ومكة واليمن. ويضيف بلجريف أن طبيعة سكان الرياض مختلفة عن أية مدينة أخرى في بلاد نجد بسبب كونها عاصمة البلاد، وهذا يعني أن أهلها يعتمدون على وظائف القصر أو وظائف الحكومة. ويذكر بلجريف أن القصر أكثر من السوق تأثيراً في الاقتصاد، لكن السوق يبقى هو مركز التجارة؛ حيث يباع التمر المحلي والبصل والسمن، وكذلك اللحم واللبن والحطب، وهي المواد الرئيسة المعروضة للبيع في الدكاكين ذات الأبواب الصغيرة، كما يوجد دكاكين لبيع الأغراض المنزلية، ودكاكين للخرازين والحدادين. وفي السوق يمكن التعرف على أناس من عمان، والبحرين، والعراق، والحجاز، وسدير، والزلفي، واليمن، وكذلك البدو. ^(١٤٦)

ومن جهة أخرى، أوضحت المصادر المعاصرة للدولة السعودية الثانية مدى الاهتمام الذي بلغته الرياض على المستوى الصحي. فقد ذكر فيسي أن بلجريف مارس الطب فعلاً خلال زيارته لهذه المدينة، وذكر مبعوث من نجد وصل إلى بوشهر أن بلجريف، الذي تسمى بحاجي محمود، عالج عينه المريضة.^(١٤٧) ويذكر بلجريف نفسه أنه بدأ بالعمل كطبيب بعد أن سكن في مكان بعيد عن قصر الإمام فيصل، حيث أصبح المرضى يأتونه، كما أخذ هو يطوف بالمدينة للكشف على من لا يستطيع، أو لا يرغب زيارته في بيته. ويضيف أنه كان حراً في ممارسة عمله اليومي، وأنه حقق سمعة كبيرة، فقد شملت معالجته أعيان الرياض، ومنهم عبدالله وسعود ابنا الإمام فيصل، وكذلك محبوب بن جوهر سكرتير الإمام.^(١٤٨)

وصف بلي للرياض:

يعتبر لويس بلي الرحالة البريطاني الثاني الذي زار الرياض في عهد الإمام فيصل بن تركي وكتب تقريراً يصف فيه ما شاهده خلال رحلته عبر الخليج إلى الرياض. ومما يميز تقرير بلي أنه كان يشغل وظيفة المعتمد البريطاني في الخليج، وكان حريصاً على الالتقاء بالإمام فيصل والتباحث معه في مجالات سياسية وأمنية تهتم الوضع في الخليج العربي.^(١٤٩) وبعد عدة محاولات استطاع بلي القيام برحلة إلى الرياض في شهر شوال عام ١٢٨١هـ الموافق مارس ١٨٦٥م.^(١٥٠)

وصف بلي وصوله للرياض بمروره بمنزل ريفي ومزرعة للإمام فيصل تبعد حوالي ساعة عن الرياض، ثم يضيف أن الرياض مبنية على

مرتفع من الأرض لا يبعد كثيراً عن وادي حنيفة، ثم وصف الرياض بأنها فسيحة ولطيفة دون زخارف أو تجميل، مبنية باللبن. أما ضواحي الرياض فقد زادها جمالاً أشجار النخيل القليلة، ثم يضيف أن كلمة رياض تعني الحدائق أو الأراضي المزروعة. وفي المناطق المجاورة للرياض أراضٍ مزروعة حيث كانت تسقى من آبار يبلغ غور مياهها ٤٧ قدماً .

ومع بعض التشابه في وصف بلي لمدينة الرياض مع الوصف الذي أورده بلجريف كما سبق، فإن بلي ركز في وصفه على بعض الأمور التي لم يوردها بلجريف. لقد وصف بلي قصر الحكم وقال: إنه يقع في وسط البلد، وأمامه ميدان واسع، وكان يوجد بعد بوابة القصر الخارجية مباشرة عدد قليل من المدافع القديمة. ثم وصف مكان الاستقبال في القصر، وهو قاعة سفلية طويلة فيها أعمدة خشبية، ويتم الدخول إلى القاعة عن طريق سلم مظلم. وقد وصف الديوان الذي يجلس فيه الإمام فيصل، كما وصف مقابلته له، وقال: إن مجلس الإمام يتوسط صدر القاعة على سجادة صغيرة جميلة، وكان يسند ظهره إلى وسادة وثيرة، يجلس بالقرب منه ابنه الأصغر، وكان سكرتيه الخاص، محبوب بن جوهر، يجلس على مسافة منه في مكان منخفض عن المكان الذي يجلس فيه الإمام.^(١٥١)

ومن جهة أخرى أوضح تقرير بلي اهتمام الإمام فيصل بالمشاريع التطويرية في مدينة الرياض، حيث ذكر أن الإمام فيصل أبدى رغبته في الحصول على بعض الآلات لرفع الماء في ضواحي العاصمة، بحيث تكون أفضل نوعية وأقوى من آلة الدوالب الفارسي الشائعة. وقد تم الاتفاق بينه وبين الإمام على أن يقوم بلي بقياس عمق الماء في الآبار وأن

يقوم هو بجلب اثنتين من المضخات المطورة من بريطانيا، وقد تم تعميده من قبل وزارة الخارجية البريطانية لرصد مبلغ ١٥٠ جنيهًا لشراء المضخات.^(١٥٢) ومما يدل على اهتمام الإمام فيصل بالرياض أن بلي ختم وصفه لها بالإشارة إلى دور الإمام فيصل في تطويرها بقوله: « وعلى العموم فإن البلدة وضواحيها تبدو في حالة جيدة، كما يبدو أن هناك من يرهاها »^(١٥٣).

ثالثاً: المظاهر الحضارية الاجتماعية والاقتصادية والإدارية:

من المظاهر الحضارية الأخرى التي تمت في مدينة الرياض، الاهتمام بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية والإدارية، وهي من المظاهر الدالة على الدور الذي قامت به الرياض كعاصمة للدولة السعودية الثانية، رغم تذبذب الأحوال السياسية فيها. لقد قام الإمام تركي بعدد من التنظيمات الاجتماعية، ومعالجة الأوضاع الاقتصادية، الناتجة عن الجفاف الذي أصاب البلاد، وما ترتب عليه من نقص المواد الغذائية، وارتفاع أسعارها، وتطوير الأنظمة الإدارية بما يتماشى مع تطور الحياة في البلاد. وقد نالت الرياض نصيباً وافراً من هذه التنظيمات بحكم كونها العاصمة، وملتقى زوار الحكومة وموظفيها، وذوي المصالح والحاجات.^(١٥٤)

ومن الواضح أن سلطة الدولة قد تعززت في عهد الإمام تركي بن عبد الله، وتمتعت الرياض بالاستقرار، وعادت الحياة فيها إلى أفضل مما كانت عليه في عهد الدولة السعودية الأولى في جميع المجالات، خاصة بعد أن اتخذها الإمام تركي عاصمة للدولة، وقد انعكس ذلك

على مكانتها، حيث بدأت الرياض تأخذ دورها الحضاري المؤثر في الجزيرة العربية. وقد شجع هذا الوضع على عودة من هجروها إبان الأحداث السابقة، حيث تضاعف عدد سكانها. فضمن إحصائية أوردتها مانجان، قدر عدد الرجال الذين يمكن دعوتهم للقتال من منطقة الرياض بحوالي خمسة عشر ألف مقاتل، كما قدر عدد الشيوخ والنساء والأطفال بحوالي سبعة عشر ألفاً. ومن هذه الإحصائية يمكن تقدير عدد سكان الرياض وما حولها في عهد الإمام تركي بحوالي ثلاثين ألف نسمة.^(١٥٥)

ومن الأمور الجوهرية التي حرص عليها الإمام تركي في سبيل تطوير مدينة الرياض، ودعم دورها الحضاري، هو تنظيم الإدارة المحلية التي أولاهها عناية خاصة. ومن مظاهر ذلك اهتمامه بالنواحي الإدارية في البلاد، حيث عمل على قيام إدارة فعالة في أقاليم الدولة ومقاطعاتها. وفي هذا الخصوص عيّن في مناصب الإدارة والقضاء أشخاصاً أكفاء يمكن الاعتماد عليهم في فرض هيئة الحكومة، واحترام النظام، والمحافظة على الأمن، وقد جعل الرياض مصدر السلطات الإدارية. وقد تولى القضاء في فترة حكم الإمام فيصل الأولى، الشيخ عبدالرحمن بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب، وعندما نقل إلى الخرج خلفه في منصبه الشيخ ابنه عبدالملك، وفي فترة حكمه الثانية، أسند الإمام فيصل أمر القضاء إلى الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، وفي نفس الوقت كان إماماً للمسجد الجامع، وقاضياً للجيش.^(١٥٦)

ومن الأعمال الإدارية الأخرى التي قام بها الإمام تركي، تنظيم أعمال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي تعد من التنظيمات الإدارية الجديدة في الرياض.^(١٥٧) وكان الإمام فيصل يحرص على اختيار

أعضائها من المشهود لهم بالعلم والصلاح والعقل والحلم، وذلك لعظم المسؤولية الملقاة على عواتقهم: من حث الناس على الصلاة في أوقاتها، ومعاينة من يتهاون بها، وكذلك ملاحقة المفسدين والعصاة وإيقاع العقاب بهم، وإزالة المنكر، ومراقبة الأسواق عن التطفيف في الكيل أو الوزن. وكان يشرف على هذه الهيئة في مدينة الرياض شخصياً، أما في المناطق الأخرى فقد أوكل أمر الإشراف عليها إلى أمراء الأقاليم. وهكذا كان إنشاء هذه الهيئة بشكلها التنظيمي الذي عرفت به إلى اليوم سنة حسنة من مآثر الإمام فيصل، له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. (١٥٨)

وفي عهد الإمام فيصل استمرت السياسة الداخلية التي أرساها الإمام تركي، كما استمر وتعزز دور الرياض الحضاري في مختلف المجالات. بدأ الإمام فيصل حكمه بتوجيه رسالة عامة إلى السكان، كما فعل عند تسلمه الحكم للمرة الأولى بعد استشهاد أبيه، وقد شدد في رسالته على التمسك بالعقيدة وما تشتمل عليه من حقوق وواجبات، كما شدد على دفع الزكاة الشرعية، واهتم بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الهيئة التي كان له الفضل بعد الله في استحداثها بشكلها الذي عرفت به. ولا شك أن هذه التوجيهات ترقى بالمستوى الحضاري للرياض والمجتمع الذي يعيش فيها. ومن الأمور التي ركز عليها الإمام فيصل أهمية الشورى في الحكم وطاعة ولي الأمر حسب ما هو مقرر في الشريعة الإسلامية. كما حث الناس على التكافل الاجتماعي ودفع الصدقات للفقراء والمحتاجين. (١٥٩)

أما في مجال الإدارة المحلية فقد جمع الإمام فيصل، بعد أن

استقرت له الأوضاع في الرياض، السلطة بيده، وقام بتنظيم شؤون الدولة إدارياً ومالياً. ففي مجال الإدارة عين ابنه عبدالله نائباً عنه في الرياض وقيادة الجيش نيابة عنه، كما عين ابنه الثاني سعود أميراً في الخرج وذلك سنة ١٢٦٤هـ الموافق ١٨٤٧م. ولم تحدث الروايات التاريخية عن طبيعة الإدارة المحلية، خاصة في الرياض عاصمة الدولة ومقر إقامة الإمام، بل إن فيسي يذكر أن حكم الإمام فيصل كان فردياً، وأن بعض التطور حصل عن طريق منح بعض الصلاحيات لابنه عبدالله.^(١٦٠) بينما يذكر بلجريف، أن هناك من الموظفين السكرتير الخاص للإمام، وهو يعادل رئيس الوزراء واسمه محبوب، وكذلك أمين بيت المال واسمه جوهر، وكذلك شخص اسمه ناصر يقوم بوظيفة تشبه رئيس التشريعات، وآخر اسمه أبو عيسى. ومن المسؤولين في حكومة الإمام فيصل رجل يسمى أبو شمس وهو المسؤول عن المدفعية.^(١٦١)

ومن الأمور الإدارية المهمة التي تخدم عامة الناس وتسهل معيشتهم، اهتمام الإمام فيصل بالقضاء، وعنايته في اختيار القضاة، وذلك لما للقضاء من أثر مباشر على حياة الناس. فقد دعا إلى اجتماع عام في الرياض حضره كبار القضاة في الأقاليم، وكان الغرض منه بيان سياسته الداخلية، وبحث الأمور التي تكفل للقضاء استقلاله وهيئته. وقد شارك في هذا الاجتماع رؤساء القبائل وأمراء الأقاليم وقد استمر الاجتماع قرابة شهر كان الجميع خلاله محل تقدير الإمام فيصل واحترامه. وفي نهاية الاجتماع شدد الإمام فيصل على أمر الزكاة باعتبارها مطلباً شرعياً وتكافلاً اجتماعياً. وكانت الزكاة تشكل مورداً اقتصادياً مهماً من مصادر دخل الدولة.^(١٦٢) ورغم أن منع الزكاة لا يعني التمرد على الدولة، بل كان

سببه في أغلب الأحوال شع المرامي وقلة المحاصيل، إلا أن الإمام فيصلاً أراد أن يكون أمر دفع الزكاة محسوماً، ومع ذلك حصلت بعض الإشكالات من جراء تنظيم جباية الزكاة، بين القبائل فيما بينها من جهة، وخاصة في بلاد جنوبي نجد، ومنطقة الوشم، أو بينها وبين عمال الحكومة المركزية في الرياض المكلفين بجباية الزكاة من جهة أخرى، وقد أدى تطور هذه المسألة إلى تدخل الإمام فيصل شخصياً وقيامه بحملة عسكرية إلى هذه البلاد لإجبار أهلها على دفع الزكاة وإرساء الأمن الداخلي. ^(١٦٣)

ولهذا يمكن القول إن الرياض ازدهرت في عهد الإمام فيصل، وازدادت مكانتها كمركز للحكم والإدارة، ومصدر السلطين التشريعية والتنفيذية في الدولة باعتبارها العاصمة. ^(١٦٤) وفي المجال الإداري، كان الإمام فيصل يرى التجديد في أسلوب إدارة البلاد. ومن أجل ذلك عين عدداً من أمراء البلدان ممن لهم دراية وحكمة، وغالباً ما يكون الأمير من أهل البلاد، حيث كان الإمام فيصل يؤمن بسياسة الإدارة اللامركزية. ^(١٦٥)

ورغم ظهور بعض المشكلات الداخلية التي يرجع سبب أغلبها إلى ما أفرزته الأوضاع السياسية المتذبذبة، إلا أن الإمام فيصلاً استطاع التغلب على تلك المشكلات بفضل حنكته، ودرايته، وحرصه على استتباب الأمن. وفي الحقيقة عاشت الرياض فترة ذهبية، خاصة في عهد الإمام فيصل في فترته الثانية التي استمرت مدة ثلاث وعشرين سنة، كما يعد عهده، في نفس الوقت، العصر الذهبي للدولة السعودية الثانية، حيث ركز خلالها دعائم الدولة داخلياً، كما استمر في تشجيع العلم واحترام العلماء، وإقامة الحدود الشرعية، وتأمين الناس في جميع شؤون حياتهم. ^(١٦٦)

وفي تحليلنا لدور الرياض الحضاري، والتطور الذي شهدته في مختلف المجالات، يجب أن لا يغيب عن البال أن الرياض، كما ذكرنا ذلك من قبل، ورثت دورها السياسي والحضاري عن الدرعية، ولذلك فإن تنظيمات الدولة طبقت كما كان سائداً في الدولة السعودية الأولى. ومن الأمثلة على ذلك: التنظيم القضائي، وتنظيم موارد الدولة وطريقة صرفها، والتنظيم العسكري، لكن الاختلاف أن الرياض استطاعت أن تقوم بدورها الرائد رغم التذبذب السياسي الذي سلمت منه الدرعية، وهذا هو سر تميزها .

أما التجارة فهي تأتي بالدرجة الثانية بعد الزراعة. والتجارة بصفة عامة على نوعين: تجارة داخلية وتجارة خارجية. وتتركز التجارة الداخلية في عمليات البيع والشراء داخل المدن، أو فيما بينها. وكما أوضحنا من خلال وصف بلجريف، فإن الرياض كان فيها سوق داخلية رائجة، حيث يتم التبادل التجاري بينها وبين بلدان نجد، وأنحاء الجزيرة العربية. ويتوافر في هذه الأسواق معظم الحاجيات مثل: المواد الغذائية، والملابس، والبضائع الكمالية، ومنها مصنوعات الذهب والفضة.^(١٦٧) أما التجارة الخارجية بين الرياض وخارج البلاد السعودية فقد ظلت محدودة، لكن كان يصلها نصيبها من التبدل التجاري الذي يتم في البلدان الأخرى. لقد كان هناك سوق للجمال المستخدمة للنقل، كما أن تجارة الخيول كانت ناشطة في عهد الدولة السعودية الثانية، وكانت الدولة تصدر التمر واللؤلؤ خاصة من المنطقة الشرقية من البلاد. أما الواردات فقد بدأت البلاد تشهد بعض المصنوعات الأوربية.^(١٦٨)

الدور الحضاري للرياض ينقلها للعالمية:

يعد التطور الحضاري الذي شهدته الرياض في عهد الدولة السعودية الثانية، والدور الرائد الذي تبوأته، وحدة متكاملة، سواء في المجال الداخلي، أو في مجال السياسة الخارجية . ولا شك أن الاهتمام الدولي بالرياض كان نتيجة حتمية للتطور الذي شهدته في مختلف المجالات . ففي مجال السياسة الخارجية، أقام الإمام فيصل علاقات متينة مع الدول الخارجية مبنية على حسن الجوار والاحترام المتبادل، شمل الدول المجاورة وغيرها من الدول الإسلامية والأجنبية، كما كرس جهوده لبناء مجتمع إسلامي قائم على الأخوة والتعاون . لقد استمر الإمام فيصل في سياسته التي بدأها في فترة حكمه الأولى وهي العمل على صيانة استقلال البلاد، وقد نجح في هذا الجانب نجاحاً كبيراً، كما واصل جهوده الإصلاحية حتى توفاه الله عام ١٢٨٢هـ الموافق ١٨٦٥م .

ومن خلال دراسات المبعوثين الذين زاروا الرياض في عهد الإمام فيصل، يتضح أن مكانة مدينة الرياض وأهميتها إزدادت، خلال عهد الإمام فيصل، باعتبارها عاصمة البلاد، وذلك تبعاً لزيادة الأهمية السياسية للدولة السعودية الثانية . وكانت الدول الأوروبية، وخاصة بريطانيا، مهتمة بقيام وتطور العلاقات بينها وبين الإمام فيصل لما تمثله بلاده من ثقل سياسي وعسكري في منطقة الخليج، كما هو الحال إبان عهد الدولة السعودية الأولى . ورغم أن الإمام فيصل لم يكن متحمساً إلى فتح الباب على مصراعيه في علاقاته مع بريطانيا لأسباب متعددة لا يسمح المجال لبسط الحديث عنها، إلا أن بريطانيا حاولت عن طريق الرحالة البريطانيين، وكذلك عن طريق معتمديها في الخليج، الاتصال

بالإمام فيصل.^(١٦٩) وهذا ما عزز القول إن زيارة الكولونيل لويس بلي للرياض ومقابلة الإمام فيصل بن تركي عام ١٢٨٢هـ الموافق ١٨٦٥م أدت إلى عقد معاهدة بين البريطانيين والسعوديين، حتى أن ماكلوغلين يذكر أن الملك عبدالعزيز كان يشير دائماً في مناقشاته مع ممثلي بريطانيا حول العلاقات بين بلاده وبريطانيا إلى تلك المعاهدة.^(١٧٠) كما ذكر فيلبي أن الملك عبدالعزيز كان يذكر له تمسكه بعلاقات وطيدة مع البريطانيين، وهي العلاقات التي تأكدت بعقد معاهدة بين جدّه الإمام فيصل بن تركي والكولونيل لويس بلي في أوائل الستينيات من القرن التاسع عشر، وقد حاول فيلبي معرفة إن كانت الوثائق القديمة في الرياض تحتوي على أي وثيقة تؤكد الرواية التي تشير إلى مثل هذه الاتفاقية.^(١٧١) وقد سأل فيلبي الملك عبدالعزيز إن كان محتفظاً بنسخة من الاتفاقية فأجاب بالنفي، لكنه ذكر أن حكومة الهند البريطانية لا بد أنها تحتفظ بنسخة منها . وكما ذكرنا من قبل من أن الإمام فيصل بن تركي كان حذراً في علاقاته مع البريطانيين، يذكر فيلبي أن وجهة نظر بلي أن الاجتماعات التي عقدها مع الإمام فيصل في ذلك الوقت لم تسفر عن شيء يشبه اتفاقية رسمية.^(١٧٢) لكن هناك دلائل ذكرها بلي وغيره من المؤرخين الغربيين تبين أن هدف زيارة بلي إلى الرياض ومقابلة الإمام فيصل هو إقامة علاقات معه، ومعرفة رأيه في جيرانه حكام الخليج، وإمكانية كسب تأييده في الحفاظ على السلم والأمن في الخليج.^(١٧٣)

أثر الخلافات على تطور الرياض:

ورغم الجهود الكبيرة التي بذلها كل من الإمامين تركي وابنه فيصل في سبيل تطوير مدينة الرياض وتعزيز دورها الرائد في الجزيرة العربية،

إلا أنه تبين بوضوح أثر تذبذب الحكم، وعدم ثباته بيد حاكم واحد من أبناء الإمام فيصل بعد وفاته عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م، على جهود الإصلاح والتطور في مدينة الرياض خلال هذه الفترة . ولعل ظهور بوادر التنافس بين ابني الإمام فيصل: عبدالله وسعود، وما قيل من أن الإمام فيصل نفسه كان يلاحظ الطموح لدى ابنه سعود ومنافسته لأخيه عبدالله، مما جعله يعينه أميراً على بلاد الخرج، لعل هذه الارهاصات بتوقع خلاف بين الأخوين أملت على الإمام عبدالله بعد أن تسلم الحكم بعد وفاة أبيه، بالبدء ببناء قصره الجديد المعروف باسمه في الرياض في عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م، وهو الذي عرف فيما بعد بالمصمك، وأصبح مقر الحكم بدلاً من قصر الإمام فيصل.^(١٧٤) ولعل تلك الظروف تعلق سبب بناء القصر الجديد . وفي هذا الصدد يذكر وليم فيسي أن الأسباب الأمنية هي التي ساهمت في اتخاذ هذا القرار، وهو السبب الذي جعل عبدالله يبنى قصر المصمك بجوار منزله الذي بناه في الرياض.^(١٧٥)

وحتى بعد سقوط الدولة السعودية الثانية، كان قَدَر مدينة الرياض، وما حولها من بلدان، أن تكون بؤرة الاهتمام ورمز الشرعية، لكن كان من سوء طالعها أن تكون هدفاً للانتقام الغالب . ليس هذا فحسب بل كان قدرها أن تعاني، خلال تلك الفترة، من عوامل كونية قاسية . يذكر ابن عيسى حالة الرياض السيئة في عام ١٢٨٨هـ بقوله: « ثم دخل سعود بلد الرياض ومعه خلائق كثيرة من العجمان وغيرهم فعاثوا في البلد، ونهبوا بلد الجبيلة وقتلوا جماعة من أهلها، وقطعوا نخيلها وأخربوها وتفرق باقي أهلها في بلدان العارض، ولم يبق فيها ساكن، وانحل نظام الملك وكثر في نجد الهرج والمرج، واشتد الغلاء والقحط، وأكلت جيف

الحمير، ومات خلائق كثيرة جوعاً، وحل بأهل نجد من القحط، والجوع، والمحن، والنهب، والقتل، والفتن، والموت الذريع، أمر عظيم، وخطب جسيم، فنعوذ بالله من غضبه وعقابه»^(١٧٦). ويعلق فيسي على هذه الأحداث التي حلت بالرياض بعبارة توحى بحجم الكارثة حيث يقول: «أما حجم الخراب العمراني الذي لحق بالمدينة فغير معروف» . ويصف الآثار التي خلفتها الحرب الأهلية على مكانة الرياض كعاصمة للدولة بقوله: «لقد حولت عشر سنوات من الحرب الأهلية نفوذ الرياض إلى ظل لما كانت عليه تحت حكم الإمام فيصل... وتحولت الرياض من عاصمة للدولة إلى كونها قاعدة إقليمية في جنوبي نجد» . ويضيف أنه على الرغم من أننا لا نملك وصفاً لأحوال الرياض من الناحية العمرانية في هذا الزمن بعد سنوات من المجاعة والأوبئة والفوضى، لكن لا يمكن أن تكون المدينة وضواحيها إجمالاً بحالة جيدة كما شاهدها بلي في سنة ١٨٦٥ م.^(١٧٧)

ولقد دلت الأحداث المتعاقبة التي شهدتها مدينة الرياض على أن أهميتها كعاصمة للدولة السعودية، ورمز شرعيتها بدأت تتلاشى، وهو ما أكدته داوتي في عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م، الذي وصف حالة الرياض في فترة ضعفها وحالها إبان قوتها بقوله: «كل ما تبقى من سلطان السعوديين بلدة الرياض وضواحيها، والقرى المحيطة بها، وأصبحت إمارة صغيرة ضعيفة مثل بريدة. ومدينتهم الكبيرة، المبنية من الطين، التي كانت إلى عهد قريب عاصمة نجد، صارت الآن ساكنة، وديوان استقبال الضيوف الضخم، صار مهجوراً»^(١٧٨). ومن غير شك، فإن هذه الأوصاف لأحوال الرياض تعبر عن نفسها ولا تحتاج إلى تأكيد لمدى الدمار

والاضمحلال الذي أصاب الرياض في الصميم بعد سنوات حافلة عاشتها الرياض عاصمة للدولة السعودية الثانية .

الرياض تظل بغير منافس:

ورغم ما أصاب الرياض من تدهور ناتج عن تردي الأوضاع السياسية فيها، إلا أنها تظل من دون منافس . وبعبارة أدق، يمكن طرح السؤال الذي يتبادر إلى الذهن بعد سقوط الدولة السعودية الثانية وعاصمتها الرياض، هل أخذت حائل، قاعدة حكم آل الرشيد الذين انتزعوا الحكم في بلاد نجد، مكان الرياض؟ .

الحقيقة التي لا غبار عليها هي أن حائل لم تستطع أن تقوم بالدور السياسي أو الحضاري الذي قامت به الرياض . فمدينة حائل لم يؤهلها موقعها النائي في شمال الجزيرة العربية في أن تكون محط أنظار المهتمين بشؤون الجزيرة العربية . يضاف إلى ذلك عدم إمكانية تطويرها من الناحية العمرانية، فليس فيها قصور ولا مبانٍ حكومية ولا مخازن أسلحة، وليس فيها دور للضيافة . لقد وصفت الليدي آن بلنت^(١٧٩) مدينة حائل خلال رحلتها في الجزيرة العربية التي زارتها في بقولها: «والمدينة ليست بصفة خاصة مؤثرة في النفس . فمعظم بيوتها تخفيها النخيل، والسور الذي يحيط بها ارتفاعه أرفع قليلاً من عشرة أقدام . والبنية الوحيدة الهامة التي أمكن رؤيتها كانت قلعة كبيرة قريبة من مدخل المدينة، هي قصر ابن رشيد . ولن أنسى الانطباع الذي أخذني حين دخلت المدينة من نظافة الجدران والشوارع الخارقة للعادة، والذي يكاد يعطي جواً خيالياً»^(١٨٠) وبهذا الوصف فليس هناك مقارنة بينها وبين

الرياض حتى في أحلك ظروفها. وفي نفس السياق يمكن مقارنة غرفة استقبال قصر الحكم في الرياض التي وصفها بلجريف، كما ذكرنا سابقاً، بغرفة استقبال الأمير محمد بن رشيد، حيث تصفها بلنت بأن مساحتها ٣٠×٧٠ قدماً، وفيها صف مكون من خمس من السواري، وليس في الغرفة إضاءة، بل تضيئها فتحات مربعة صغيرة قريبة من السطح، ولم يكن في الغرفة أثاث سوى أوتاد خشبية قصيرة لتعليق السيوف.^(١٨١) أما مجلس الأمير، وهو في نفس الوقت مجلس القضاء الذي يعقده يومياً في بهو القصر، ومساحته ٥٠×١٠٠ قدماً، والأمير يجلس في مقعد مرتفع. أما بيت الضيافة فصفه بلنت بأنه بيت مزدوج قريب من القصر، وكان كل شيء فيه في غاية البساطة، ولكن في حالة أنيقة ونظيفة.^(١٨٢)

أما من الناحية العلمية، فقد حافظت الرياض على مكانتها العلمية إلى حد ما، ولم تدهور كما تدهورت مكانتها السياسية، وفي نفس الوقت لم تستطع حائل أن تهضم الرياض حقها رغم أن محمد بن عبدالله بن رشيد حاول، فيما يبدو، أن يستقطب العلماء المشهورين من الرياض. فمن خلال تصفح كتب تراجم علماء نجد، نجد أنه طلب من الشيخ عبدالله بن عبداللطيف القدوم إلى حائل عام ١٣١٣هـ، حيث تتلمذ على يديه بعض رجال العلم في حائل مثل: الشيخ صالح السالم آل بنيان، والشيخ عبدالله بن خلف الراشد وغيرهما من رجال العلم في حائل.^(١٨٣)

وعلى كل الأحوال فليس المجال هنا للمقارنة بين الرياض وحائل، لأنه لا وجه للمقارنة، فالرياض فيها عدد من القصور للإمام والأمراء، وكبار وجهاء البلاد، وفيها من الحدائق، والأسواق، والمساجد ما لا

يمكن أن يوجد في حائل . أما الناحية العلمية فكانت حائل عالة على الرياض في كل الأوقات حتى بعد أن سقطت الدولة السعودية الثانية وفقدت الرياض مركزها كعاصمة . ولهذا فإن حائل رغم أنها أصبحت عاصمة بلاد نجد، لكنها لم تتطور بما يوازي مكانة العاصمة، ولذلك ظلت الرياض تنتظر عودة دورها البناء وهو ما تم على عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل عندما استطاع استعادتها عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م .

خاتمة:

وهكذا، ومن خلال هذا البحث، ندرك أهمية الدور الذي قامت به مدينة الرياض خلال عهد الدولة السعودية الثانية من الناحيتين السياسية والحضارية .

لقد اتضح أن الرياض شكّلت عاملاً مهماً من عوامل شرعية الحكم، حيث كان أئمة آل سعود يدركون الأهمية والشرعية التي تمنحها لهم الرياض، ولذلك كانوا يستميتون في الدفاع عنها، أو في الحرص على استعادتها في حالة وقوعها في أيدي خصومهم. وفي المقابل كان خصوم الدولة السعودية، وخاصة محمد علي باشا والي مصر، ومن ورائه الدولة العثمانية، يدرك أهمية الرياض لبقاء واستمرار الحكم السعودي، ولذلك كان يحرص على زعزعة أمنها، ومحاولة السيطرة عليها بكافة السبل، بما فيها تجريد الحملات المتكررة، لكنه في النهاية لم يستطع أن يغير من واقع الأمر شيئاً. وعندما تلاشى دور والي مصر، قام بنفس الدور محمد بن عبد الله بن رشيد، الذي بنى قوته على حساب الدولة السعودية حتى تمكن من استخلاص الرياض لحكمه، وتعيين أمراء من قبله عليها. ومع أن والي مصر لم ينجح في مخططه، إلا أن ابن رشيد استطاع في النهاية تحقيق هذا الهدف لمصلحته الشخصية وللدولة العثمانية في النهاية، والتي باركت مساعي زعماء آل الرشيد، ووافقت أن يستظلوا بعباءتها .

وفي المجال الحضاري، تمتعت الرياض خلال عهد قوة الدولة السعودية الثانية، بنهضة حضارية في مختلف المجالات. فالحياة العلمية ازدهرت في الرياض باعتبارها وريثة الدرعية كعاصمة للدولة السعودية،

وبذلك ورثت الرياض ما كان من أهمية علمية للدرعية، كما تعززت الحركة العلمية فيها بفضل الله ثم بفضل جهود أئمة الدولة في تشجيع العلم واحترام العلماء وخاصة في عهد الإمام تركي بن عبد الله وابنه الإمام فيصل. كما برز دور الرياض العلمي من خلال مجموعة كبيرة من العلماء الفحول الذين بلغ صيتهم الآفاق، وأصبح طلاب العلم يفدون إلى الرياض للاستفادة من علمهم. وقد زاد من أهميتها العلمية وجود عدد من العلماء من أسرة آل الشيخ فيها. وعلى وجه الخصوص، ازدادت أهميتها بعودة الشيخ عبدالرحمن ابن حسن آل الشيخ من منفاه في مصر في عهد الإمام فيصل بن تركي. لقد شهدت الرياض إنشاء عدد كبير من المساجد مما يعكس الاهتمام العلمي الذي كان موجوداً لدى سكان العاصمة حتى في فترة الاضطراب الذي أصاب الدولة في آخر عهدها.

وفي المجال المعماري، نشطت النهضة العمرانية في مدينة الرياض مما لم يتح لكثير من بلاد نجد وذلك بسبب كونها عاصمة الدولة ومركز الحكم، وبفضل نعمة الأمن التي تحققت في العهد المبكر للدولة في ظل حكم الإمام تركي وابنه الإمام فيصل. وكان من أبرز المظاهر الحضارية المعمارية بناء القصور والمساجد والحدائق.

أما الناحية الإدارية فقد كانت الرياض مقراً لكثير من الدوائر المهمة في الدولة، وكان يقيم بها لهذا الغرض عدد كبير من موظفي الحكومة، وكذلك الحرس الخاص بالإمام وكبار موظفيه. ومن جانب آخر نشأت هيئات جديدة مثل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وتطورت الأنظمة الإدارية، وتنوعت الأنشطة الاجتماعية التي تعنى
بأفراد المجتمع .

ومن جانب آخر، ساعد كون الرياض عاصمة للدولة، على ازدهار
النواحي الاقتصادية فيها، وقيام حركة نشطة للتبادل التجاري داخل البلاد
السعودية أو بينها وبين البلاد المجاورة، كما عزز من مكانة الرياض
الاقتصادية كونها مقراً لدواوين الدولة، وخاصة في النواحي الاقتصادية
حيث توجد واردات الدولة ومصروفاتها، ومكاتب جباية الزكاة وصرفها،
ونشأ بناء على ذلك سوق تجاري كبير في وسط الرياض .

هوامش البحث :

- (١) لم تستمر مدينة حجر، بل بدأت في الاضمحلال حيث صارت، حتى وقت قريب من القرن الرابع عشر الهجري، علماً لبئر كانت تقع على الضفة الغربية لوادي (الوتر) الذي سمي فيما بعد البطحاء، وكان فيه نخل وبئر، ثم انحصر الاسم في البئر فقط، حيث كانت تعرف باسم بئر حجر، ويعد ذلك ردم البئر وبنيت في أرضها دكاكين في المنطقة المحصورة بين شارع البطحاء وشارع الوزير (شارع الملك فيصل فيما بعد). وللمزيد من التفاصيل راجع: حمد الجاسر، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٨٦هـ، ص ٨٧، وانظر نفس المرجع، ص ٩١-٩٤.
- (٢) معكال حي قديم من أحياء الرياض الجنوبية، مقرر: حي مماثل له، وكان هذان الحيان يحكمان منطقة حجر اليمامة وما حولها قبل أن يبرز اسم الرياض. وكان لهذين الحيين قديماً شأن. وقد ورد ذكر بلدة معكال في عام ٩٨٦هـ عندما قام شريف مكة، حسن بن أبي نمي بحملة عليها. كما ورد ذكر بلدة مقرر في عام ١٠٣٣هـ حيث ذكر قتل أولاد مفرج بن ناصر صاحب بلدة مقرر. وللمزيد من المعلومات عن هذه القرى والمحلات بصفة عامة، وعن معكال ومقرر بصفة خاصة، راجع: عبدالله بن محمد بن خميس، معجم اليمامة، الطبعة الأولى، مطبعة الفرزدق، الرياض ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج ٢، ص ٣٧٩-٣٨٠، ٣٨٤-٣٨٥؛ الجاسر، مرجع سابق، ص ٨٨-٩١.
- (٣) حرصاً على الموضوعية لن نتمكن من الحديث عن مدينة حجر وتاريخها القديم، وتطورها خلال العصر الإسلامي الأول. ونظراً لأهمية مدينة الرياض، التي قامت على أنقاضها سنرصد مجموعة من المصادر والمراجع الحديثة، التي تفيد القارئ في هذا المجال: الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، (ت ٣٣٤هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوخ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٤هـ، ص ٢٨٤، ٣٠٧؛

الحسن بن عبدالله الأصفهاني، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٨٨هـ، ص ٣٥٧-٣٥٨؛ عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٧٩هـ، ج ٤، ص ٣٦٨؛ عثمان بن عبدالله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق وتعليق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دار الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٠٢هـ، ج ٢، ص ١٣، هامش ١، ص ٣١١، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٤١؛ عبدالرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الفارس بيروت، د.ت، ج ٣، ص ٦٢٨؛ مؤلف مجهول، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، نسخة حسن بن جمال بن أحمد الريكي، دار الملك العزيز، الرياض د.ت، ص ٣٣؛ وراجع عن الموضوع كذلك: عبدالله بن محمد بن خميس، معجم اليمامة، ج ١، مطبعة الفرزدق الرياض، ١٣٩٨هـ، ص ٢٩٢-٣٠٥؛ عبدالرحمن صادق الشريف، مدينة الرياض: دراسة في جغرافية المدن، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٩٧٨م، ص ١٠٥-١١٤؛ عبدالرحمن سليمان الرويشد، قصر الحكم في الرياض أصالة الماضي، وروعة الحاضر، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض د.ت، ص ٢١-٢٤؛ فهد بن عبدالعزيز الكليب، الرياض ماض تليد وحاضر مجيد، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٠هـ، ص ٤٣-٥٠، ٥٣-٥٥.

(٤) الشريف، مرجع سابق، ص ١١٥.

(٥) ابن بشر، مصدر سابق، ج ١، ص ٤١٠.

(٦) عبدالله الحقي، الإمام تركي بن عبدالله، مجلة الحرس الوطني، العدد ٨١،

ذو القعدة ١٤٠٩هـ، ص ٣٨.

(٧) عايض بن خزام الروقي، حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة

العربية، ١٢٤٧-١٢٥٥هـ / ١٨٣١-١٨٣٩م، جامعة أم القرى، مكة المكرمة

١٤١٩هـ، ص ١٧-١٨.

(٨) ابن بشر، مصدر سابق، ج ١ ص ٤٤١-٤٤٢؛ مقبل عبدالعزيز الكبير، (ت ١٣٦٣هـ)، مخطوطة العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية، صورة مخطوط لدى دارة الملك عبدالعزيز، مصورة عن نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٣٩٦هـ، ورقة ٥٣. وللمزيد من التفصيلات عن فترة حكم ابن معمر راجع: منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية، ج ٥، الإمام تركي بن عبدالله، دار الشبل للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٧٨ - ٨٠.

William Facey, Riyadh The old City From its origins until the 1950s,

Immel Publishing Limited, London 1992, 120 .

(٩) هو أخ للإمام عبدالله بن سعود، آخر حكام الدولة السعودية الأولى، وكان من ضمن من رُحِّلوا إلى مصر، لكنه هرب من حراسه في الحمراء، وهي قرية تقع بين الجديدة وينبع البحر، حيث وصل إلى القصيم ثم الزلفي ثم الوشم. وعندما كثر أتباعه اتجه إلى الدرعية. وللمزيد من المعلومات عن شخصيته راجع: ابن بشر، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٤٤-٤٤٥ وكذلك هامش ١، ص ٤٤٥؛ الجبرتي، مصدر سابق، ج ٣، ص ٦٢٨؛ أحمد بن زيني دحلان، خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام، المطبعة الخيرية، الطبعة الأولى، مصر ١٣٠٥هـ، ص ٣٠٣؛ عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز آل بسام (ت ١٣٤٦هـ تقريباً)، كتاب تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، نقله عن الأصل الخطي نور الدين شربية، سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، صورة مخطوطة في دارة الملك عبدالعزيز، ورقة ١١٧؛ الرويشد، مرجع سابق، ص ٢٧. وانظر كذلك

Winder, Bayly, R., Saudi Arabia in the Nineteenth century, Macmillan,

New York 1965, p.52.

(١٠) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢-٤/٢، من

رئيس الكتاب إلى السلطان، دون تاريخ.

(١١) راجع عن هذا الموضوع F acey, op. cit., pp. 120-121 الذي يضيف أن

إعادة بناء الأسوار تمت بعد زيارة سادليز لها في سنة ١٨١٩م.

(١٢) ابن بشر، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٤٥؛ الذكر، مرجع سابق، ورقة ٥٣؛

الرويشد، مرجع سابق، ص ٢٧.

(١٣) للمزيد من التفاصيل عن ظروف خروج ابن معمر على مشاري بن سعود راجع:

ابن بشر، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٤٥؛ الذكر، مرجع سابق، ورقة ٥٤؛

محمد بن عبد الله السلطان، الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة

السعودية الثانية، الطبعة الأولى، المطابع الوطنية للأوفست، عنيزة ١٤٠٧هـ/

١٩٨٧م، ص ٥٨، وعن دور بعض الزعماء في استغلال انعدام السلطة،

واضمحلال الأمن، راجع: الروقي، مرجع سابق، ص ٢٣.

(١٤) الروقي، مرجع سابق، ص ٢٠.

(١٥) ابن بشر، مصدر سابق، ج ١ ص ٤٤٦-٤٤٧؛ الذكر، مرجع سابق، ورقة

٥٤، وتوضح الوثائق العثمانية مدى الانزعاج الذي أصاب الدوائر العثمانية من

جرائم انبعاث النفوذ السعودي في بلاد نجد من جديد، حيث أظهرت هذه

الوثائق تبادل الرسائل بين السلطان العثماني وواليه على مصر، محمد علي

باشا، ووالي بغداد العثماني. وللمزيد من المعلومات عن هذه الرسائل راجع:

عبدالرحيم، عبدالرحمن عبدالرحيم، محمد علي وشبه الجزيرة العربية،

١٢٣٤-١٢٥٦هـ/ ١٨١٩-١٨٤٠م، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، دار الكتاب

الجامعي، القاهرة ١٩٨١م، عن دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (٤) معية

تركي، وثيقة رقم (١٥٤)، من محمد علي إلى الصدر الأعظم، بتاريخ ٩ محرم

١٢٣٦هـ/ ١٧ أكتوبر ١٨٢٠م.

(١٦) cey, op. cit., p. 121

- (١٧) الجاسر، مرجع سابق، ص ١٠١؛ Winder, op. cit., p. 53.
- (١٨) انظر عن سيرة الإمام تركي وجهوده في بناء الدولة السعودية الثانية الحقل، مرجع سابق، ص ٣٨.
- (١٩) عن نسبه وظروف إقامته بعد سقوط الدرعية راجع: العجلاني، مرجع سابق، ج ٥، ص ٦٠، ٦٥-٦٦.
- (٢٠) الرويشد، مرجع سابق، ص ٢٨.
- (٢١) عن أحداث هذه الفترة، وخاصة وصول مشاري بن سعود إلى الحكم والصعوبات التي واجهها، وموقف ابن معمر منه راجع: العجلاني، مرجع سابق، ج ٥، ص ٨٥-٨٧؛ الحقل، مرجع سابق، ص ٣٩.
- (٢٢) دار الوثائق القومية، دفتر (٤) معية تركي، الوثيقة رقم (١٨٠) من محمد علي إلى الصدر الأعظم، بتاريخ ١٣ جمادى الآخرة ١٢٣٦هـ / ١٨ مارس ١٨٢١م، والوثيقة رقم (٢٧٨) من محمد علي إلى الصدر الأعظم بتاريخ ١٣ رمضان ١٢٣٦هـ / ٢٤ يونية ١٨٢٠م، في عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ١٢. وهناك روايات متعددة عن مصير مشاري لا يسمح المجال بتفصيلها. وللمزيد من المعلومات عن تلك الروايات راجع: ابن بشر، مصدر سابق، ج ١ ص ٤٤٨-٤٤٩؛ دحلان، مرجع سابق، ص ٣٠٣؛ محمد بن عمر الفاخري، الأخبار النجدية، دراسة وتحقيق وتعليق عبدالله بن يوسف الشبل، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ت.، ص ١٥٥؛ الذكير، مرجع سابق، ورقة ٣٣؛ عبدالله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ج ١، مطابع الشريف، الرياض ١٤٠٩هـ، ص ٢٠٩ - ٢١٠؛ العجلاني، مرجع سابق، ج ٥، ص ٩٥-٩٦؛ الرويشد، مرجع سابق، ص ٢٩.
- وانظر Winder, op. cit. : Facey, op. cit., p. 121
- (٢٣) هذه الجهود التي بذلها الإمام تركي تؤكد أنه المؤسس للدولة السعودية الثانية.

وقد ناقش هذا الموضوع كثير من المؤرخين، وبينوا الدلائل التي تؤيد رأيهم. وقد فصلَّ سلمان (مرجع سابق، ص ٧٢-٧٤) مجمل هذه الدلائل، ومنها: أنه تحمل الجزء الأكبر في سبيل بناء الدولة، ومساهمته ونجاحه في جلاء القوات الأجنبية عن بلاده، كما أن فترة حكمه التي استمرت عشر سنوات (١٢٣٩-١٢٤٩ هـ / ١٨٢٣-١٨٣٣ م) كانت أكثر استقراراً من حكم ابنه فيصل في فترته الثانية وخاصة في بلاد القصيم، أن مساحة الدولة في عهده كانت أقصى مساحة بلغت الدولة حتى في عهد ابنه فيصل، عامل أسبقية الزمن تؤهل الإمام تركي لأن يكون المؤسس للدولة السعودية الثانية، وأخيراً إجماع أكثر المؤرخين يكاد ينعقد على أحقية الإمام تركي لحمل لقب مؤسس الدولة السعودية الثانية. وللمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع راجع: العجلاني، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢١، ٢٩، ٣١-٤٣، محمد عبدالله ماضي، النهضة الحديثة في جزيرة العرب، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥١ م، ص ٦٤؛ حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، الطبعة الخامسة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م، ص ٢٣١-٢٣٢.

K. S. Twitchell, Saudi Arabia with an Account of Development of its Natural Resources, New Jersey, 1958, p. 90.

(٢٤) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٤/٢-٤، من رئيس الكتاب إلى السلطان، دون تاريخ.

(٢٥) الذكير، مرجع سابق، ورقة ٥٥.

(٢٦) Facey , op. cit., p. 121.

(٢٧) ابن بشر، مصدر سابق، ج ١ ص ٤٥١-٤٥٢؛ الفاخري، مصدر سابق، ص ١٥٥؛ الجبرتي، مصدر سابق، ج ٤، ص ٣٤١؛ الذكير، مرجع سابق، ورقة ٥٥؛ الرويشد، مرجع سابق، ص ٢٩، ومن جانب آخر يذكر Facey, op.

cit., p. 121 ، أن حسين بك شرع في تدمير الحياة السياسية والعلمية والاقتصادية في نجد منطلقاً من قاعدته الجديدة في ثرمدا. وقد كان من مظاهر هذا الحكم المرعب: الابتزاز الجماعي، والقتل، وقطع النخيل، ومطاردة آل الشيخ. لكن الأمر المهم هو تعزيز الحاميتين التابعتين لوالي مصر في كل من عنيزة والرياض. وقد ذكرت الوثائق العثمانية أن هدف حملة حسين بك هو إخضاع منطقة نجد كله لنفوذ محمد علي. راجع: دار الوثائق القومية، دفتر (١٠) معية تركي، الوثيقة رقم (١٩٠)، من محمد علي إلى محافظ المدينة، بتاريخ ٧ رجب ١٢٣٧هـ - ٣٠ / مارس ١٨٢٢م، في عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ١٩.

(٢٨) دار الوثائق القومية، دفتر (١٠) معية تركي، الوثيقة رقم (١٩٠)، من محمد علي إلى محافظ المدينة، بتاريخ ٧ رجب ١٢٣٧هـ - ٣٠ / مارس ١٨٢٢م، في عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٢١. وللمزيد من التفاصيل عن أحداث هذه المرحلة راجع: ابن بشر، مصدر سابق، ج ١. ص ٤٦٣؛ الذكير، مرجع سابق، ورقة ٥٦.

(٢٩) للمزيد من المعلومات عن حسن أبو ظاهر وأعماله في بلاد نجد راجع: ابن بشر، مصدر سابق، ج ١ ص ٤٦١-٤٦٢؛ الذكير، مرجع سابق، ورقة ٥٦؛ الجاسر، مرجع سابق، ص ١٠٢؛ عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ١٧-١٨؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٢١٢.

وانظر كذلك

Harry. St. John Philby, Saudi Arabia, London, 1955, pp. 147-152;

Winder, op cit., p. 55.

(٣٠) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢ ص ٢٦-٢٧. وانظر كذلك Philby, Saudi..., cit., p. 155.

ويعلل وايندر فشل هذه الحاميات بأن الدولة العثمانية ممثلة بوالي مصر، ليس لديها القوة الكافية في بلاد نجد لقمع الثورات التي تقوم هناك، وقد اقتنعوا في النهاية باحتلال بعض المدن المهمة. انظر. Winder, op. p.58.

(٣١) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٥.

(٣٢) H. Dickson., Kuwait and Her Neighbours, London, 1956, p. 122

(٣٣) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٨-٣٣؛ الذكير، مرجع سابق، ورقة ٥٧؛ عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٢٢-٢٣، ٤٢؛ الرويشد، مرجع سابق، ص ٢٩-٣٠.

(٣٤) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٤-٣٥؛ آل بسام، مرجع سابق، ورقة ١٢٣؛ الذكير، مرجع سابق، ورقة ٥٧؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٢١٤؛ عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٢٣؛ الرويشد، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٣٥) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢ ص ٣٦-٣٧؛ الذكير، مرجع سابق، الورقتان ٥٨-٥٧؛ عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٢٤؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٢١٤. Winder, op. cit., pp. 63-64.

(٣٦) Facey, op. cit., p. 123.

(٣٧) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٨، وانظر عن هذا الموضوع: العجلاني، مرجع سابق، ج ٥، ص ١١١-١١٤؛ Winder, op. cit., p.64

(٣٨) العثيمين، مرجع سابق، ج ١، ص ٢١٠.

(٣٩) عن تفاصيل استشهاد الإمام تركي، والأطراف المتورطة فيها، راجع: ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٩٧-١٠٠؛ الذكير، مرجع سابق، الورقات ٥٩-٦٠، ٦١؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٢٣-٢٢٥؛ عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٢٧١-٢٧٢؛ العجلاني، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢١٦-٢٢٥؛ Winder, op. cit., PP. 96-97.

(٤٠) ومنهم أمير حائل عبدالله بن علي بن رشيد، وأمير بريدة عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله، وأمير الحريق تركي الهزاني، وأمير سدير حمد بن يحيى بن غيهب.

(٤١) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٠١؛ الذكير، مرجع سابق، ورقة ٦٣؛ Winder, op. cit., p. 97.

(٤٢) للمزيد عن تفاصيل هذه الأحداث راجع: ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٠١ - ١٠٤؛ الذكير، مرجع سابق، ورقة ٦٣، Facey, op., cit., p. 127

(٤٣) أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٢٨.

(٤٤) تحدث الدكتور محمد بن سعد الشويعر عن مظاهر القيادة لدى الإمام فيصل، وكيف أن الأحداث التي شهدتها بلاده ابتداء من سقوط الدرعية حتى إخراجه إلى مصر، قد أكسبته الشجاعة والمقدرة على التأقلم مع الظروف القاسية. وقد عدد الشويعر بعض الظواهر في سيرة الإمام فيصل، ومنها: استعماله الذكاء، وحبّه للاستشارة، والاستفادة من والده في أساليب القتال، وحرصه على الكتمان في جميع أعاله، وفطنته وقدرته على كشف الرجال، وحبّه للجهاد، وحرصه على توسيع رقعة الدولة، وإدراكه لأهمية الحصون والقلاع في إثبات دعائم الدولة والدفاع عنها، وحرصه على تطوير الجيش، وقدرته على التغلب على المواقف الصعبة، وفهمه العميق في الأسلوب القتالي، ومعرفته الوثيقة بالرجال، ومحبه للإصلاح والبناء. وفوق ذلك كله تدينه وميله للبحث والدرس والتقصّف. للمزيد من المعلومات عن هذه الصفات راجع: محمد بن سعد الشويعر، الإمام فيصل بن تركي، مجلة القافلة، العدد ٨، شعبان ١٤٠٩هـ، ص ٣٦ - ٣٨.

(٤٥) ليس من أهداف هذا البحث الاسترسال في تفاصيل حكم الإمام فيصل، لكن بعض جوانب حكمه سيتم الحديث عنها في هذا البحث لعلاقتها الوثيقة بالدور الذي قامت به الرياض كعاصمة للدولة.

(٤٦) الذكير، مرجع سابق، ورقة ٦٣.

(٤٧) Facey, pcit , op. 127.

(٤٨) للمزيد من التفاصيل عن جهود الإمام فيصل لتذليل المشكلات التي كانت تقوم بين فترة وأخرى في البلاد راجع : عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٢٨٣؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٣٣.

(٤٩) عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٢٨١ - ٢٨٢؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٣٤؛ أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٣٧.

(٥٠) عد بعض المؤرخين هذا المال خراجاً، لكن المعنى الشرعي للخراج لا يتناسب مع طبيعة حكم محمد علي باشا، أو العلاقة بينه وبين الدولة السعودية الثانية، ولهذا يمكن وصفه بأنه ضريبة. للاطلاع على هذه الآراء راجع : عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٢٨٢. Winder, op. cit., pp. 107-108.

(٥١) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢ ص ١٣٧؛ عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٢٨٢؛ العثيمين، مرجع سابق ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٥٢) هو خالد بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد، أخ للإمام عبداللّٰه بن سعود، آخر حكام الدولة السعودية الأولى، وهو من أم حبشية، كان ممن نقلوا إلى مصر بعد سقوط الدرعية، حيث نشأ وعاش فيها حوالي ثمانية عشر عاماً اكتسب خلالها كثيراً من عادات أهلها، وكان محمد علي يفكر في الاعتماد عليه نظراً لعلاقته الوثيقة به، وقد منحه رتبة قائمقام، وخصص له راتباً قدره ٢٥٠٠ قرش عثماني. وبعد ذلك أرسله محمد علي مع حملة عسكرية عام ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م. وبعد استسلام الإمام فيصل لقائد الحملة، خورشيد باشا، تسلم الأمير خالد الحكم في نجد، لكن سلطته كانت اسمية. وفوق ذلك مال خال ابن سعود إلى الدعة واللهو، فنفر منه أهالي نجد، وساعدوا الأمير عبداللّٰه بن ثنيان ضده. وبعد تسلم ابن ثنيان الحكم غادر خالد بن سعود الرياض إلى جهات الخليج، ثم إلى مكة المكرمة، حيث توفي فيها على الأرجح. وللمزيد من التفاصيل عن الأمير خالد بن سعود راجع : خير الدين الزركلي، الأعلام،

الطبعة الثالثة، ج ٢، بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، ص ٣٣٦-٣٣٧؛ أبو عليّة،
الدولة السعودية الثانية، ص ٦٠. Winder, op. cit., pp. 108-109.

(٥٣) Facey, op. cit. P. 128. والواقع أن هذه السياسة طبقها محمد علي في جميع المناطق التي استطاع السيطرة عليها؛ حيث كان يعتمد إلى إشراك القوى المحلية في إدارة المناطق وذلك لتحقيق هدفين: الأول، الاستفادة من خبرتها بشؤون هذه المناطق، والثاني، استعمالها كعامل مساعد لبسط سيطرته على تلك المناطق لما لهذه القوى من نفوذ لدى أتباعها. ولنفس الهدف أبقى على زعامة شيوخ القبائل الكبيرة، ومنحهم سلطة في مناطقهم. وللمزيد من المعلومات راجع: عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٦٨ وانظر الوثائق التالية في نفس المرجع: دار الوثائق القومية، دفتر (١٠) معية تركي، وثيقة (٧٣)، من محمد علي إلى الشريف يحيى بن سرور، بتاريخ ٢٩ ربيع الأول ١٢٣٧هـ / ٢٤ ديسمبر ١٨٢١م؛ دفتر (١٠)، معية تركي، وثيقة (٣١١) من محمد علي إلى واصل بن مضيان، شيخ عربان حرب، بتاريخ ٢٠ شوال ١٢٣٧هـ / ١٠ يوليو ١٨٢٢م؛ وثيقة (٣٥٢) من محمد علي إلى مشعان بن هذال شيخ عربان عنزة، بتاريخ ٤ ذي الحجة ١٢٣٧هـ / ٢٢ أغسطس ١٨٢٢م؛ وثيقة (٣٥٣)، من محمد علي إلى واصل بن غانم، شيخ عربان حرب، وثيقة (٣٥٥) من محمد علي إلى فيصل الدويش شيخ عربان مطير، وثيقة (٣٥٧) إلى حمد بن سبيع شيخ عربان هينة، بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٢٣٧هـ / ٢٥ أغسطس ١٨٢٢م.

(٥٤) للمزيد عن هذه التحركات التي قام بها الإمام فيصل في القصيم والموقف الحربي هناك راجع: ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٤٣؛ عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٥٥) عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٢٩٠ عن دار الوثائق القومية، محفظة (٢٦٢) عابدين، وثيقة (١٠٤) حمراء، من إسماعيل إلى الجنب العالي، بتاريخ ١٩ صفر ١٢٥٣هـ / ٢٥ مايو ١٨٣٧م. وانظر كذلك: Winder, op. cit., p. 1110.

(٥٦) Facey, op.cit. p. 128, Lorimer, op. cit., p. 10970.

سبق للمؤلف أن قام بتحقيق النسخة العربية من دليل الخليج وتبين أن فيها الكثير من الأخطاء في التواريخ والأسماء وبعض الأحداث التاريخية، ولهذا فقد رأى أن الاعتماد على النسخة الإنجليزية أولى في هذه الحالة. أما إيراد كتاب لوريمر (النسخة العربية) ضمن قائمة المراجع العربية مع وجودها ضمن قائمة المصادر والمراجع الأجنبية فلأنها مازالت هي المتداولة بين أيدي المهتمين بتاريخ الخليج رغم الملحوظات التي فيها.

(٥٧) الذكير، مرجع سابق، ورقة ٦٤.

(٥٨) الفاخري، مصدر سابق، ص ١٧٣-١٧٤.

(٥٩) Facey, op. cit., p. 129

(٦٠) وصف ابن بشر (مصدر سابق، ج ٢ ص ١٥٢-١٥٤) حالة السكان خلال فترة الحصار وصفاً دقيقاً يبين مدى المعاناة التي واجهها سكان الرياض. وللمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع راجع: العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٣٨-٢٣٩؛ أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٤٥-٤٦؛ عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٢٩٦-٢٩٧؛ Facey, op. cit., p. 129.

(٦١) Facey, op. cit., p. 130.

(٦٢) وتذكر الوثائق العثمانية أن خالد بن سعود كان يرى أن على الإمام فيصل أن ينسحب إلى الأحساء وأن يكون هو حاكم نجد، لكن فيصل لم يقبل بذلك وأصرّ على انسحاب القوات الأجنبية. وللمزيد من التفاصيل عن هذه التحالفات والتحولات خلال هذه الفترة راجع: ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٥٥. عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٢٩٨-٣٠٢؛ أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٤٦-٤٧، وانظر كذلك دار الوثائق القومية، محفظة (٢٦٢) عابدين، وثيقة (١١٩) حمراء، من خورشيد إلى محمد علي، بتاريخ ٢٠ رمضان ١٢٥٣هـ/

- ١٨ ديسمبر ١٨٣٧م في عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٢٩٨
- (٦٣) كان خورشيد محافظاً لمكة المكرمة سنة سبع وأربعين ومائتين وألف. راجع دحلان، مرجع سابق، ص ٣١٢.
- (٦٤) Facey, op. cit., p. 130
- (٦٥) الشويعر، مرجع سابق، ص ٣٤.
- (٦٦) وقد ذكر دحلان (مرجع سابق، ص ٣١٢) أنه حصل قتال شديد بين خورشيد والإمام فيصل حتى تمكن خورشيد من القبض على الإمام فيصل واستولى على الدرعية والرياض. وللمزيد من التفاصيل عن هذه التطورات المتلاحقة، وعن ترحيل الإمام فيصل وإقامته في مصر راجع: ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٦٥-١٧٢؛ عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٣٠٩-٣١٠ عن دار الوثائق القومية، دفتر ٢١٤ عابدين، وثيقة (٢٨٤)، من عباس باشا إلى السدة الخديوية، بتاريخ ١٢ ذي القعدة ١٢٥٤هـ / ٢٧ يناير ١٨٣٩م، محفظة (٢٦٤) عابدين، وثيقة (٢) أصلية، صورة خطاب وارد من حاكم الحجاز بتاريخ ٧ ربيع الأول ١٢٥٥هـ / ٢٠ يونية ١٨٣٩م؛ الفاخري، مصدر سابق، ص ١٧٤-١٧٥؛ الذكير، مرجع سابق، ورقة ٦٧؛ عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٣٠٩ أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٥٠ العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٣٩؛ Winder, op. cit., pp.118-120.
- (٦٧) Facey, op. cit., p. 130
- (٦٨) Facey, op. cit., p. 130
- (٦٩) انظر: أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٦٠، هامش ٤ و ص ٦١، هامش ٣، Facey, op. cit., p. 131
- (٧٠) دحلان، مرجع سابق، ص ٣١٢؛ عبدالرحيم، مرجع سابق، ص ٣٩٨؛ أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٦٢؛ Winder, op. cit., pp. 136-١٣٧. ويلتقي خالد بن سعود مع عبدالله بن ثنيان في جده الأعلى ثنيان، أخي

- الإمام محمد بن سعود مؤسس الدول السعودية الأولى. انظر تفاصيل أكثر عن ابن ثنيان في ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٩١، هامش ١.
- (٧١) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٩٢؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٤٨.
- Winder, op. cit., p. 137.
- (٧٢) الذكر، مرجع سابق، ورقة ٧٠.
- (٧٣) للمزيد عن تفاصيل أحداث هذه المرحلة راجع: الذكر، مرجع سابق، ورقة ٧٠. Facey, op. cit., p. 131. وعن صفات عبدالله بن ثنيان، وقصة وصوله إلى الحكم، وموقف خالد بن سعود منه راجع: ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٩٣-١٩٩؛ أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٦٣ هامش ٢؛ محمد منير البديوي، المتوكل على الودود عبدالعزيز آل سعود، مطابع نجد التجارية، الرياض ١٣٩٧هـ، ص ٥٣.
- (٧٤) Facey, op. cit., p. 131.
- (٧٥) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠٢؛ أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٨٥.
- (٧٦) Facey, op. cit., p. 128. وانظر عن حالة الجفاف وآثارها خلال هذه الفترة: الخضير، مرجع سابق، ص ٦٧-٧١.
- (٧٧) أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٧١.
- (٧٨) هناك روايات كثيرة عن الطريقة التي خرج بها الإمام فيصل من سجنه في مصر. وللمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع، وعن أحواله في مصر في تلك الفترة راجع: ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠٥-٢٠٧. دحلان، مرجع سابق، ص ٣١٢-٣١٣. الذكر، مرجع سابق، ورقة ٧١؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٧١؛ أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٨٦-٨٨؛ السلطان، مرجع سابق، ص ١٣٩-١٤٢؛ محمد عرابي نخلة، تاريخ الأحساء السياسي

١٨١٨-١٩١٣ . منشورات ذات السلاسل، الكويت ١٤٠٠هـ-١٩٨٠ /، ص ١٠٦-١٠٧؛ الريحاني، مرجع سابق، ص ٩٥، ١٤٢.

Facey, op. cit., p. Facey, op. cit., p.132.

(٧٩) عن تطورات وصول الإمام فيصل إلى حائل، وموقف أهل القصيم منه راجع:

ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠٧-٢٠٩؛ الذكير، مرجع سابق، الورقتان ٧١-٧٢؛ أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٩٠ .

(٨٠) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢١١-٢١٤؛ أبو علي، الدولة

السعودية الثانية، ص ٩١ . Facey. op. cit., p. 132.

(٨١) Facey. op. cit., p. 132.

(٨٢) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢١٤؛ الذكير، مرجع سابق، ورقة ٧٢؛

العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٥٥-٢٥٧؛ أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٩٢ .

Winder, op. cit., pp. 146-147.

(٨٣) للمزيد من التفاصيل عن مشاعر الناس بعودة الإمام فيصل إلى بلاده مروراً

بحائل راجع: ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠٧، ٢١٢-٢١٣؛ الذكير، مرجع سابق، ورقة ٦٣ .

(٨٤) يُروى المصمك بالصاد لإحكامه، ويُروى المسمك بالسین لسماكة جدرانه

الجانبيه، ورغم أن الثانية أصوب وأقرب معنى لوصفه، إلا أن الأولى أشهر.

ويقال إن لفظ المصمك تحريف من العامة للمسمك. ومن أسمائه الأخرى

القلعة والحصن. وهو قصر حصين محكم الإغلاق من جميع جوانبه، وجدرانه

مرتفعة. وهو مبني بالحجر والطين، وله أربعة أبراج كبيرة في جوانبه الأربعة،

وبوابة كبيرة بها خوخة. وهو يمثل الطابع الحربي وفن العمارة المنتشرة في

منطقة الرياض في تلك الفترة. وتذكر بعض المصادر والمراجع أن أول من بناه

الإمام عبدالله بن فيصل عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م، حيث اتخذهُ أولاً سكناً له

ولأسرته، ثم اتخذته مقراً للحكم. وقد حل هذا القصر محل قصر دهام بن دواس الذي كان مقراً للحكم قبل بناء المصمك. ويروى أن الذي بنى هذا الحصن هو محمد بن عبدالله بن رشيد على أنقاض قصر الإمام عبدالله، حيث هدمه ابن رشيد وأبقى فيه القلعة المسماة بالمصمك. ولمزيد من المعلومات عن تاريخ بناء هذا القصر، ووصفه، وما قيل فيه من روايات، والأحداث التي شهدتها راجع: إبراهيم بن صالح بن عيسى، كتاب عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، وزارة المعارف، الرياض د.ت، ص ٤٨؛ ابن خميس، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٧٢ الجاسر، مرجع سابق، ص ١٠٨ الرويشد، مرجع سابق، ص ٢١٩-٢٣٦ الكليب، مرجع سابق، ص ٩٦-١٠٠ عمر بن غرامه العمري، المعالم الجغرافية والتاريخية لمواقع الملك عبدالعزيز الحربية، ج ١، الطبعة الأولى، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ١٤٠٦هـ، ص ٣٨-٤١.

(٨٥) العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٧٩.

(٨٦) هناك مصادر ومراجع تحدثت بشكل مفصل عن مصدر الخلاف بين الأخوين، وما نتج عنها من أحداث بطريق مباشر أو بصورة غير مباشرة ومن هذه المصادر والمراجع: الفاخري، مصدر سابق، ص ١٨٨، هامش ١ الذكير، مرجع سابق، الورق ٨٤، ٨٦ وما بعدها؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٧٩-٢٨٠؛ أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ١٥٧-١٥٨؛ البديوي، مرجع سابق، ص ٥٩-٦٠ أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، من محمد بن سعود إلى عبدالرحمن الفيصل وعهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، دار الملك عبدالعزيز، الرياض د.ت. ص ١٧٠.

(٨٧) للمزيد من المعلومات عن موقف كل من أمير أبها وصاحب نجران المتباينين راجع: ابن عيسى، مرجع سابق ص ٤٩.

(٨٨) عن هذه الأحداث راجع: ابن عيسى، مرجع سابق، ص ٤٩-٥٠؛ أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ١٦٠-١٦١؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٨٢.

- (٨٩) أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ١٦٥ .
- (٩٠) ابن عيسى، مرجع سابق، ص ٦٦ . وعن الحملة العثمانية على الأحساء بقيادة مدحت باشا راجع: أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ١٦٦-١٧٠ .
- (٩١) سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، مطابع المدينة، الرياض، ص ٣٣؛ ابن عيسى، مرجع سابق، ص ٦٤ .
- (٩٢) الذكير، مرجع سابق، ورقة ٨٨؛ الجاسر، مرجع سابق، ص ١٠٩ .
- (٩٣) أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ١٧٥ .
- (٩٤) عن أحداث هذه الفترة راجع: الذكير، مرجع سابق، ورقة ٨٨ .
- (٩٥) ١ ابن عيسى، مرجع سابق، ص ٦٨-٦٩، ٧١؛ الذكير، مرجع سابق، ورقة ٩٠؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٨٨-٢٩٠؛ الجاسر، مرجع سابق، ص ١١٠-١١١ .
- (٩٦) ابن عيسى، مرجع سابق، ص ٧٦ .
- (٩٧) Winder, op. cit., vol. 2., pp. 262-278.
- (٩٨) الذكير، مرجع سابق، ورقة ٩٠ .
- (٩٩) الذكير، مرجع سابق، ورقة ٩١ .
- (١٠٠) ابن عيسى، مرجع سابق، ص ٨٤-٨٥؛ الذكير، مرجع سابق، ورقة ٩٢ .
- (١٠١) انظر عن أحداث هذه الفترة: الذكير، مرجع سابق، ورقة ٩٢ .
- (١٠٢) الشريف، مرجع سابق، ص ١١٧ .
- (١٠٣) الذكير، مرجع سابق، ورقة ٩٣ .
- (١٠٤) ابن عيسى، مرجع سابق، ص ٨٨؛ الذكير، مرجع سابق، ورقة ٩٣؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٣٠٠؛ أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ١٨٣-١٨٤؛ Facey, op. cit., p. 175.

(١٠٥) أمين الريحاني، نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما، مؤسسة الريحاني، بيروت ١٩٧٠م، ص ١٠٣-١٠٤؛ الجاسر، مرجع سابق، ص ١١٢. وعلى العموم فإن هناك روايات مختلفة عن أسباب إقدام ابن رشيد وعامله على الرياض على القيام بهذه المذبحة، وتاريخ وقوعها. وقد فصل هذه الروايات الذكير، مرجع سابق، الورقتان ٩٣-٩٤.

(١٠٦) ابن عيسى، مرجع سابق، ص ٧٦-٧٧؛ أمين سعيد، مرجع سابق، ص ١٨١-١٨٢.

(١٠٧) لتفاصيل المؤامرة التي دبرها ابن رشيد وعامله على الرياض، ابن سبهان، ضد الإمام عبدالرحمن وموقفه من هذه المؤامرة راجع: الذكير، مرجع سابق، ورقة ٩٥.

(١٠٨) الجاسر، مرجع سابق، ص ١١٣.

(١٠٩) ابن عيسى، مرجع سابق، ص ٨٩؛ الريحاني، مرجع سابق، ص ١٠٤؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٣٠١-٣٠٣؛ أبو عليه، الدولة السعودية الثانية، ص ١٨٦؛ الجاسر، مرجع سابق، ص ١١٣.

(١١٠) ابن عيسى، مرجع سابق، ص ٩٠؛ الريحاني، مرجع سابق، ص ١٠٥؛ الجاسر، مرجع سابق، ص ١١٤؛ أبو عليه، الدولة السعودية الثانية، ص ١٨٨؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٣٠٥.

(١١١) ظل محمد بن فيصل أميراً على الرياض حتى توفي عام ١٣١١هـ. وللمزيد من التفاصيل راجع: ابن عيسى، مرجع سابق، ص ٨٩-٩٠؛ الذكير، مرجع سابق، الورقتان ٩٧-٩٨؛ الجاسر، مرجع سابق، ص ١١٣-١١٤؛ أبو عليه، الدولة السعودية الثانية، ص ١٨٧؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٣٠٤.

(١١٢) ضاري بن فهد الرشيد، نبذة تاريخية عن نجد، منشورات دار اليمامة، الرياض

١٣٨٦هـ، ص ٥٨ . ومعنى قضّ : أي هدم.

(١١٣) ابن عيسى، مرجع سابق، ص ١٠١ .

(١١٤) Lorimer, op. cit., vol. 1, p. 1140.

(١١٥) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ، ج ١، ص ١٥ .

(١١٦) البسام، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦ .

(١١٧) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢ ص ٤٢-٤٩؛ الذكير، مرجع سابق، ورقة ٥٨؛ آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف، مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار الإمامة، الرياض ١٣٩٢هـ، ص ٥٨-٩٦؛ Winder, op. cit., p.65-66 . وقد ظل الشيخ حسن في منصب قاضي الرياض لفترة طويلة، حيث كان ما يزال موجوداً في هذا المنصب في عام ١٢٧٩هـ الموافق ١٨٦٢م عندما قابله بلجريف خلال زيارته للرياض، كما يذكر في كتابه Facey, op. cit., p.

125

(١١٨) البسام، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٣ .

(١١٩) أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٢٦٨ .

(١٢٠) أبو علي، المرجع السابق، ص ٢٧٠ .

(١٢١) يذكر الموسى، مرجع سابق، ص ١٨٩-١٩٠، (أن أقدم النصوص المتعلقة بالمدارس في نجد ما ذكره ابن حميد (السحب الوابلة، ورقة ٤٣) من أن الشيخ سليمان العتيقي من بلدة حرمة، الذي يظهر أنه من علماء القرن الثاني عشر الهجري أوقف له مدرسة بسدير. وللمزيد من من المعلومات عن الكتابيب في بلاد نجد في خلال هذه الفترة راجع المرجع نفسه، ص ١٨٩-١٩٤ .

(١٢٢) الحقييل، مرجع سابق، ص ٣٨ .

(١٢٣) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ١١١ .

(١٢٤) للاطلاع على نموذج من رسائل النصح التي كان يبعثها الإمام تركي إلى رعيته، راجع: ابن بشر، ج ٢، ص ١١٣-١١٨.

(١٢٥) عبد الله بن محمد موسى، الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية: دراسة لواقع الدعوة في نجد والحجاز في القرن الثالث عشر الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤١٣هـ، ص ١٨١.

(١٢٦) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠، ١٢٦؛ الشويعر، مرجع سابق، ص ٣٦.

(١٢٧) موسى، مرجع سابق، ص ١٨١ عن الدرر السنية، ج ١١، ص ٤٦.

(١٢٨) لمعرفة المزيد عن سيرة الإمام فيصل وتشجيعه للعلم والعلماء ونصح الأمة، وكذلك نماذج من رسائله إلى عامة الناس راجع: ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٠-١٣١، ١٧٢، ٢١٥-٢١٩.

(١٢٩) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(١٣٠) عن سير هؤلاء العلماء راجع: البسام، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٦، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٨٢، ١٢٦، ٢٠٥، ٢١٩؛ ج ٢، ص ٢٥٦، ٤٦٩، ٤٨٦؛ ج ٣، ص ٧١٢، ٨٤٩؛ محمد بن عثمان بن صالح القاضي، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، مطبعة الحلبي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج ١، ص ٤٠، ٧٣، ٧٥، ٧٨، ١٨٥، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٦٩، ٢٧٨، ٣٠٣، ٣٥٠، ٣٥٥ ج ٢، ص ١٨، ٣٥٠، ٢٥٥.

(١٣١) للمزيد من المعلومات عن سير هؤلاء العلماء، راجع: البسام، مرجع سابق، ج ١ ص ١٠٧، ١١٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٣، ١٥٥، ٢٦٥، ٢٧٩، ج ٢، ص ٤٣٨، ٣٩٦، ٤٥١، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٣٧، ٥٣٧، ٥٤٠، ٥٨٢، ج ٣، ص ٧٢٠، ٧٥٩، ٧٧٧، ٧٨٣، ٩١٨، ٩٣٨، ٩٦١؛ القاضي، مرجع سابق، ج ٢.

١، ص ٣٥، ٣٦، ٦٧، ٨٦، ٨٨، ٩٠، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٥،
١٧١، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٧٦، ٢٧٨، ٣٠٧، ٣٣٨، ٣٤٧،
٣٥٢، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٨، ٢٨٢، ٢٨٣، ج ٢، ص ٩، ٧٦،
١٠٦، ١٣٦، ١٨٤، ١٨٦، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٧، ٣٣٩، ٣٤٣.

(١٣٢) الكليب، مرجع سابق، ص ١٠٤؛ أحمد بن مساعد الوشمي، الرياض مدينة وسكاناً، كيف كانوا وكيف عاشوا، المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الرياض ١٤٠٦هـ.

(١٣٣) انظر عن هذه الإصلاحات: العجلاني، مرجع سابق، ج ٥، ص ١١٧؛ الكليب، مرجع سابق، ص ٥٨؛ لوثرروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، تعليق شكيب أرسلان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، بيروت ١٣٩٤هـ، ج ٤، ص ١٦٧. وعن طبيعة هذه التعديلات راجع Facey, op. cit., p. 122 : ، الذي يضيف أن هذه التعديلات حافظت على بقائها طوال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وقد ناقش بإسهاب طبيعة هذه التعديلات العمرانية، وهل تمت فعلاً في عهد الإمام تركي أم أنه قام فقط بترميمها. وعلى وجه الخصوص ناقش فيسي روايتي بلجريف وفليبي.

(١٣٤) Facey, op. cit., p. 123, 124; Palgrave, William Gifford, Narrative of a

Year's Journey Through Central and Eastern Arabia, 1862-63, vol. 2,

London, Cambridge, Macmillan and Co. 1965 p. 62.

(١٣٥) ذكر هذا الوصف سليمان الدخيل في مقال كتبه في مجلة لغة العرب التي كانت تصدر في بغداد. انظر: العجلاني، مرجع سابق، ج ٥، ص ١١٦-١١٧.

(١٣٦) Facey, op. cit., p. 124.

(١٣٧) الرويشد، مرجع سابق، ص ٤١.

Palgrave, op. cit., vol. 2, p. 67.

(١٣٨)

(١٣٩) للمزيد من التفاصيل عن شخصية بلجريف وخلفيته الثقافية والدينية ، وعن أهداف وطبيعة زيارته للجزيرة العربية عموماً، وزيارته للرياض خصوصاً راجع .

Palgrave, op. cit. vol. 1, pp. vi-v.; Facey, op. cit., p.138; Lorimer, J.G,

Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, London, Archive

Edition. 1986, p.1120; Facey, op. cit., p. 138. .

وانظر كذلك : أبو عليّة، الدولة السعودية الثانية، ص١١٦-١١٨ . وقد قام (أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري) في كتابه : مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، الطبعة الأولى، مؤسسة دار الأصالة، الرياض ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ١٩٦- (٢١٢) بنقد رحلة بلجريف، بل إنه يشكك في أن بلجريف زار الرياض فعلاً، وقد دعم رأيه بالعديد من الشواهد والأدلة من مصادر ومراجع مختلفة. أما فيسي فيؤكد حدوث زيارة بلجريف، لكنه يضيف أن بلجريف لم يتأكد بنفسه من أخبار رحلته لأنه دونها بعد حوالي أربعين سنة من وقوعها، من الروايات الشفهية التي غالباً ما يتقصها الدقة، لكنه يؤكد صحة أصل الرواية. انظر : :

Facey, op. cit., p 125; 139

Palgrave, op. cit. vol. 1, p. 388.

(١٤٠)

(١٤١) للمزيد من التفاصيل عن وصف الرياض وما حولها ، وكذلك قصر الحكم في الرياض انظر :

Palgrave, op. cit. vol. 1, pp. 392-394; Facey., op. cit., pp.147-155. وانظر

كذلك : الرويشد، مرجع سابق، ص٤٢-٤٨ . وانظر مخطط مدينة لرياض عام ١٨٦٢م

في ٣٣٨ Pal grave, op. cit. vol. 1, p. :

وقد أوردها أيضاً فيسي في كتابه 148 Facey, op. cit., p. :

Palgrave, op. cit. vol. 1, pp. 444-445.

(١٤٢)

- (١٤٣) Palgrave, op. cit. vol. 1, p. 449.
- (١٤٤) Palgrave, op. cit. vol. 2, p. 84.
- (١٤٥) Palgrave, op. cit. vol. 1, pp. 449-450.
- (١٤٦) عن النشاط الزراعي والتجاري في مدينة الرياض راجع Palgrave, op. cit. :
vol. 1, pp. 438-442
- (١٤٧) أورد فيسي هذه الرواية نقلاً عن بلي في أوراقه، رقم ٦٠ المحفوظة في
سجلات مكتبة الهند (I.O.L.R.). انظر Facey, op. cit., p. 140.
- (١٤٨) Palgrave, op. cit., vol. 2., pp. 109-110, Facey, op. cit., p. 150.
- (١٤٩) يذكر وليم فيسي أن أهداف زيارة لويس بلي إلى الرياض هي: إزالة الاستياء
الذي سببته إجراءات بريطانيا لمنع تجارة الرقيق في الخليج العربي والمحيط
الهندي، وكانت بعض السفن التي تنقل الرقيق تابعة لجهات موالية للدولة
السعودية، بالإضافة إلى رغبة بلي التحقق من تقرير بلجريف الذي حصل حوله
جدل في الجمعية الجغرافية البريطانية، وبالتالي كان يرغب في جمع معلومات
عن جغرافية شبه الجزيرة العربية. وللמיד من التفاصيل راجع Facey, op. cit., p. 162.
- (١٥٠) لقد اقتصرنا في هذا المبحث على ما ذكره لويس بلي عن مدينة الرياض،
حرصاً على هدف هذا الكتاب. ونظراً لأهمية رحلة بلي للرياض، وحيث إن
المجال لا يتسع لبسط الحديث عن تفاصيلها، والطريق الذي سلكه للوصول
إليها، فيمكن مراجعة ما كتبه بلي في تقريره، وكذلك الاطلاع على المصادر
والمراجع التالية: Lorimer, op. cit., pp. 1118-1120 أبو علي، الدولة السعودية
الثانية، ص ١١٨-١٢٠. وانظر تحليلات لهدف الرحلة في: أبو علي، "نظرة
على رحلة لويس بلي إلى الرياض"، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم
الاجتماعية، العدد السادس، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م، ص ٤٦٩-٤٧٤. وانظر

كذلك: نخلة، مرجع سابق، ص ١٣٣ .

(١٥١) بلي، مصدر سابق، ص ٧٥-٧٦ .

(١٥٢) بلي، مصدر سابق، ص ٨٠ .

(١٥٣) بلي، مصدر سابق، ص ٧٣-٧٤ .

(١٥٤) الرويشد، مرجع سابق، ص ٣٢ . وللمزيد من المعلومات عن تردي الأوضاع الاقتصادية خلال هذه الفترة، وما قام به الإمام تركي من جهود للتخفيف منها راجع. Facey, op. cit., p. 126. وعن العوامل الكونية وأثرها على أحوال الناس في بلاد نجد عموماً خلال هذه الفترة راجع: محمد بن سليمان الخضير، «العوامل الكونية وأثرها على أحوال السكان في بلاد نجد» ١١٥٧-١٣٠٩هـ، مجلة الدارة، السنة الثانية والعشرون، العدد الأول، محرم ١٤١٧هـ، ص ٥٨-٦١ .

(١٥٥) ورد هذا ضمن إحصائية عن سكان بلاد نجد ذكره مانجان في كتابه تاريخ مصر، وهو إحصاء تقريبي ذكر أنه أجري في زمن محمد علي باشا. انظر العجلاني، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٣٠ .

(١٥٦) أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٢٥٠، ٢٥٢ .

(١٥٧) أبو علي، المرجع السابق، ص ٢٤٠ . وللمزيد من التفاصيل عن هذه الهيئة وواجباتها، راجع نفس المرجع، ص ٢٤٩-٢٥٠ .

(١٥٨) عن هذه الرسالة، وعن سياسة الإمام فيصل راجع: ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٠-١٣١ العجلاني، مرجع سابق، ج ٥، ص ١١٩؛ أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٣٣-٣٤ .

(١٥٩) عن هذه الرسالة راجع: ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٠-١٣١ .

(١٦٠) Facey, op. cit., p. 134.

(١٦١) عن هؤلاء المسؤولين، وخاصة محبوب بن جوهر راجع. Palgrave, op. cit. :

- ٥١٢ - مجلة جامعة الإمام (العدد ٣٠) ربيع الآخر ١٤٢١هـ

(١٦٢) أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٣٥؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٣١.

(١٦٣) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٢-١٣٣؛ أبو علي مرجع سابق، ص ٣٥-٣٦؛ العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(١٦٤) الكليب، مرجع سابق، ص ٥٩.

(١٦٥) ابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢١٥-٢١٩؛ أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٩٥-٩٦، ٩٧-٩٨.

(١٦٦) عن حكم الإمام فيصل للفترة الثانية، وما تحقق لمدينة الرياض خلالها من تطور راجع. Wi nder, op. cit., pp. 149-150.

(١٦٧) أبو علي، الدولة السعودية الثانية، ص ٢٧٣.

(١٦٨) Facey., op. cit., p. 134.

(١٦٩) لا يتسع المجال للخوض في تفاصيل ما كتبه الرحالة الغربيون الذين زاروا الجزيرة العربية، وليس هدفاً لهذا البحث. وللمزيد من المعلومات عن أعمال الرحالة راجع: روبن بدول، الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة د. عبدالله آدم نصيف، ١٤٠٩هـ؛ اليدي آن بلنت، رحلة إلى بلاد نجد، ترجمة محمد أنعم غالب، دار اليمامة، الطبعة الثانية، الرياض، ١٣٨٩هـ. وانظر كذلك موضوع رحلة كل من وليم بلجريف ولويس بلي إلى الرياض في الصفحات التالية.

(١٧٠) Leslie McLoughlin, Ibn Saud Founder of a Kingdom, Macmillan press,

London 1993, p.280.

(١٧١) من المعلوم أنه لا توجد دار لحفظ الوثائق في نجد في ذلك الوقت، ولعل المقصود الوثائق والمخطوطات التي يحتفظ بها الأفراد في الرياض، وهي غنية

John Philby, The Heart of Arabia, A Record of Travel & Exploration, vol., (١٧٢)
1, Constable and Company Ltd, London. 1922, p. 307.

(١٧٣) لويس بلي، رحلة إلى الرياض، ترجمة وتحقيق الدكتور عبدالرحمن عبدالله
الشيخ والدكتور عويضة الجهني، الطبعة الأولى، عمادة شؤون المكتبات،
جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٧٨. وانظر كذلك:

Facey, op. cit., P. 133. John. B. Kelly, Britain and the Persian Gulf 1795- 1880 ,
Oxford 1968, p.500.

(١٧٤) ابن عيسى، مرجع سابق، ص ٤٨. Facey, op. cit., p. 169.

(١٧٥) Facey, op. cit., p. 169.

(١٧٦) ابن عيسى، مرجع سابق، ص ٦٤؛ سعود بن هذلول، مرجع سابق، ص ٣٣.

(١٧٧) Facey, op. cit., p. 172, 173.

C. M. Doughty, Travels in Arabia Deserta, vol. 2, Toronto. 1979, p.455. in (١٧٨)

Facey, op. cit, p.174.

(١٧٩) ورد في مستهل الترجمة العربية لكتابها " رحلة إلى بلاد نجد " ما نصه
بتصرف: هي الليدي آن بلنت، نبيلة إنجليزية، تزوجت الشاعر السياسي
الإنجليزي ويلفرد سكوين بلنت بعد تركه العمل السياسي. قامت مع زوجها
برحلات طويلة في شمال إفريقيا، وفي البلاد العربية، والهند. وفي عام
١٨٧٢م أسست مع زوجها مزرعة لتربية الخيول العربية، أصبحت مشهورة في
بريطانيا. وهي مولعة بالأسفار ومعجبة بالصفات العربية، ويتضح ذلك من
رحلاتها ومن مؤلفاتها التي أهمها: قبائل الفرات، والحج إلى نجد. راجع:
بلنت، مصدر سابق، ص ٦٨.

(١٨٠) بلنت، مصدر سابق، ص ١٨٥.

- (١٨١) بلنت، المصدر السابق، ص ١٨٦ .
- (١٨٢) عن مجلس ابن رشيد، وكذلك بيت الضيافة، والحديقة، وإسطبل الخيول، راجع: بلنت، مصدر سابق، ص ١٨٧-١٩٠ .
- (١٨٣) راجع سيرتهما في البسام، مرجع سابق، ص ج ٢، ص ٥٣٧، ٣٤٩؛ القاضي، مرجع سابق، ج ١، ص ١٧١، ٣٧٥ .

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية:

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف، مشاهير علماء نجد وغيرهم، الرياض، دار
اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٢هـ

آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ تقريباً)، كتاب تحفة المشتاق في
أخبار نجد والحجاز والعراق، (مخطوط) نقله عن الأصل الخطي نور
الدين شريفة، سنة ١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٦م، صورة مخطوطة في دارة
الملك عبدالعزيز.

أبو علي، عبدالفتاح حسن، الدولة السعودية الثانية، الرياض، مطبعة المدينة، ١٣٩٤هـ/
١٩٧٤م.

أبو علي، عبدالفتاح حسن، نظرة على رحلة لويس بلي إلى الرياض، مجلة كلية اللغة
العربية والعلوم الاجتماعية، العدد السادس، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م

الأصفهاني، الحسن بن عبدالله، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي،
الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٨٨هـ

ابن بشر، عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق وتعليق عبدالرحمن
بن عبداللطيف آل الشيخ، الرياض، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ

ابن خميس، عبدالله بن محمد، معجم اليمامة، جزأين، الرياض، مطبعة الفرزدق،
١٣٩٨هـ

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د.ت.)، كتاب عقد الدرر فيما وقع في نجد من
الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، الرياض، وزارة
المعارف، د.ت.

ابن هذلول، سعود، تاريخ ملوك آل سعود، الرياض، مطابع المدينة، ١٤٠٢هـ
بدول، روبن، الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة د عبدالله آدم نصيف،

١٤٠٩هـ

البدوي، محمد منير أحمد، المتوكل على الودود عبدالعزيز آل سعود، الرياض، مطابع
نجد التجارية، ١٣٩٧هـ

البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد خلال ستة قرون، ثلاثة أجزاء، مكتبة
ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ

بلنت، ليدي آن، رحلة إلى بلاد نجد، ترجمة محمد أنعم غالب، الطبعة الثانية،
الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٨٩هـ

بلي، لويس، رحلة إلى الرياض، ترجمة وتحقيق الدكتور عبدالرحمن عبدالله آل الشيخ
والدكتور عويضة الجهني، الطبعة الأولى، الرياض، عمادة شؤون
المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

الجاسر، حمد، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة
والنشر، ١٣٨٦هـ

الجبرتي، عبدالرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت، دار الفارس،
د.ت.

الحقيل، عبدالله، الإمام تركي بن عبدالله، مجلة الحرس الوطني، العدد ٨١، ذو القعدة
١٤٠٩هـ

الخضير، محمد بن سليمان، العوامل الكونية وأثرها على أحوال السكان في بلاد نجد
١١٥٨-١٣٠٩هـ، مجلة الدارة، السنة الثانية والعشرون، العدد الأول،
محرم ١٤١٧هـ

دحلان، أحمد بن زيني، خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام، المطبعة الخيرية،
الطبعة الأولى، مصر ١٣٠٥هـ

الذكير، مقبل عبدالعزيز، (ت ١٣٦٣هـ)، مخطوطة العقود الدرية في تاريخ البلاد
النجدية، صورة مخطوط لدى دار الملك عبدالعزيز، صورة عن نسخة

مصورة في مكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، كلية الآداب،
١٣٩٦هـ

الرشيد، ضاري بن فهد، نبذة تاريخية عن نجد، منشورات دار اليمامة، الرياض
١٣٨٦هـ

الروقي، عايض بن خزام، حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية،
١٢٤٧-١٢٥٥هـ / ١٨٣١-١٨٣٩م، جامعة أم القرى، مكة المكرمة
١٤١٩هـ

الروشد، عبدالرحمن سليمان، قصر الحكم في الرياض أصالة الماضي، وروعة
الحاضر، الرياض، دار الشبل للنشر والتوزيع، د.ت.

الريحاني، أمين، نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود
ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما، بيروت، مؤسسة الريحاني، ١٩٧٠م.

ستودارد، لوثرروب، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، تعليق شكيب
أرسلان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، بيروت
١٣٩٤هـ

سعيد، أمين، تاريخ الدولة السعودية، من محمد بن سعود إلى عبدالرحمن الفيصل
وعهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، الرياض، دار الملك
عبدالعزیز، د.ت.

السلمان، محمد بن عبدالله، الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية
الثانية، الطبعة الأولى، عنيزة، المطابع الوطنية للأوفست، ١٤٠٧هـ/
١٩٨٧م.

الشويعر، محمد بن سعد، الإمام فيصل بن تركي، مجلة القافلة، العدد ٨، شعبان
١٤٠٩هـ

الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل، مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، الطبعة الأولى،

- الرياض، مؤسسة دار الأصاله، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ١٢٣٤ - ١٢٥٦هـ/ ١٨١٩ - ١٨٤٠م، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨١م.
- العثيمين، عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ج ١، الرياض، مطابع الشريف، ١٤٠٩هـ
- العجلاني، منير، تاريخ البلاد العربية السعودية، ج ٥، الإمام تركي بن عبدالله، الرياض، دار الشبل للنشر والطباعة والتوزيع، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- العصامي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، أربعة أجزاء، القاهرة، المطبعة السلفية ومكبتها، ١٣٧٩هـ
- العمروي، عمر بن غرامه، المعالم الجغرافية والتاريخية لمواقع الملك عبدالعزيز الحربية، جزآن، الطبعة الأولى، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٦هـ
- الفاخري، محمد بن عمر، الأخبار النجدية، دراسة وتحقيق وتعليق، د. عبدالله بن يوسف الشبل، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ت.
- القاضي، محمد بن عثمان بن صالح، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، مطبعة الحلبي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- الكليب، فهد بن عبدالعزيز، الرياض ماض تليد وحاضر مجيد، الرياض، دار الشبل للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ
- لوريمر، ج. ج. دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ٣، الدوحة، مكتب سمو أمير دولة قطر، ١٩٧٦م .
- ماضي، محمد عبدالله، النهضة الحديثة في جزيرة العرب، الطبعة الأولى، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥١م.

الموسى، عبد الله بن محمد، الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية : دراسة لواقع الدعوة في نجد والحجاز في القرن الثالث عشر الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤١٣هـ.

مؤلف مجهول، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، نسخه حسن بن جمال بن أحمد الريكي، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، د.ت.

نخلة، محمد عرابي، تاريخ الأحساء السياسي ١٨١٨-١٩١٣م، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

الهمداني، الحسين أحمد بن يعقوب، (ت ٣٣٤هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد ابن علي الأكوع، الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٤هـ.

الوشمي، أحمد بن مساعد، الرياض مدينة وسكاناً، كيف كانوا وكيف عاشوا، المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الرياض ١٤٠٦هـ.

وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، الطبعة الخامسة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية:

- Dickson, H., Kuwait and Her Neighbours, London, 1956.
- Doughty, C. M., Travels in Arabia Deserta, vol. 2, Too 1979.
- Facey William, Riyadh The old City, from its origins until the 1950s, Immel Publishing Limited, London 1992.
- Kelly, J. B., Britain and the Persian Gulf 1795-1880, Oxford, 1968.
- Lorimer, J.G, Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, London, Archive Edition.
- McLoughlin, Leslie, Ibn Saud Founder of a Kingdom, Macmillan press, London 1993.
- Palgrave, William Gifford, Narrative of a Year's Journey Through Central and Eastern Arabia, 1862-63, 2 vols., London, Cambridge, Macmillan and Co. 1865, Reprint of the Edition, London and Cambridge 1965.
- Philby, H. St John, The Heart of Arabia, A Record of Travel & Exploration, vol., 1 Constable and Company Ltd, London, 1922.
- Philby, Harry. St. John, Saudi Arabia, London, 1955.
- Twitchell, K. S., Saudi Arabia with an Account of Development of its Natural Resources, New Jersey, 1958.
- Winder, Bayly, R., Saudi Arabia in the Nineteenth century, New York, Macmillan, 1965.